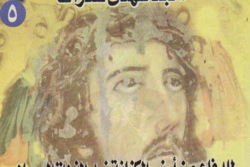
بطولات مصرية حقيقية

أمجد شهدى سدراك

٥



للدفاع عن أرض الكنانة ضد الغزاة الرومان

دماء الأقباط

معجزات القديسين والشهداء

للدفاع عن أرض الكنانه
ضد الغزاه الرومان



دمــاء الأقبـــاط

معجزات القدسين والشهداء

الجزء الأول

أمجد شهدى سدراك

سلسلة كتاب بطولات مصرية حقيقية

دماء الأقباط .. والدفاع عن النصرانية على أرض

إعداد : أ. أمجد شهدى

إخراج وتصميم غلاف : علاء فتحى عجوة

مستشار التحرير : لواء أ.ح.م. أورهان حمادة
رئيس مجلس الإدارة : عميد .م. حسن البدوى
فكرة السلسلة ورئيس التحرير : عميد .م. نبيل خالد

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٨٩٢٢م

الترقيم الدولى: I.S.B.N: 977 - 366 - 010 - 9

جمع كمبيوتر: نهى القماش
مراجعة الشاعر : أ/ السيد الخيارى

تليفون : ٠١٢ / ٣٧٤٠٥٦٧ ـ ٠١٠/١٢٤٢٣٨٧ ـ ٠١٢ / ٤٨٤٠٥٣٩

دار الجزيرة للطباعة
المنصورة نوسا البحر ت : ٠٥٠/٤٣١١٩١

دار ابن لقمان أسسها / حسن البدوى ـ نبيل خالد
عنوان المراسلات: مصر ـ المنصورة ـ ٣٥٥١١ ص.ب ٩٥

الأقباط والشخصية المصرية

على إسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء
دا نا مصر عندى أحب وأجمل الأشياء
باحبها برقة وبعنف وعلى إستحياء
وأكرهها والعن أبوها بعشق زى الداء.

رائعة هى كلمات صلاح جاهين، أظن أنها تعبر عن حالة هيام من نوع خاص بذلك المبدع، أعتقد أنه قد أستلهمها من نبض ووجدان الشارع المصرى وأظن أنه استطاع أن يكون لسان كل مصرى.

عجيبة هى مصر، إنها «ست الحسن» التى تقف أمامها

مبهورا بحضارتها مفتونا بجمالها، يتغلغل عشقها إلى أعماق كيانك دون أن تملك حيال ذلك العشق إلا الاستسلام، والإقرار حتى عندما ينتابك الضيق منها والغضب فى بعض الأوقات فسوف تجد نفسك مكبلا بعشقها... إنها مصر، فلا تتعجب ! والمصرى منذ فجر التاريخ مرتبط دائما بالأرض مرتبط هو بعشقه لها حتى إنه قد يدفع حياته ثمنا للدفاع عنها.

وهذا هوما حدث عبر حقب التاريخ المختلفة والتى تعاقبت عليها عصور مظلمة من الاحتلال إبتداءمن الهكسوس والأتراك والعثمانيين والرومان مرورا بالاحتلال الفرنسى، والإنجليزى وانتهاء بالاحتلال الإسرائيلى لأرض سيناء الحبيبة والذى انتهى بنصر أكتوبر المعجزة.

وخلال فترات تواجد الاحتلال فى مصر كانت تتعدد المحاولات لطمس الهوية المصرية إلا أن أيا من أنواع الاحتلال المختلفة لم يستطع أن يصمد طويلا أمام الشخصية المصرية ولا أن يغير من ملامحها شيئا.

وعندما يصطدم الاحتلال بالشعب المصرى يجده شعبا صعب المراس، فهو قد جمع بين جوانبه من المتناقضات فهو شعب حليم غضوب، شعب وديع ثائر، شعب متواضع كبيرة

همته. ومع أن المؤمنين بالكتب السماوية قد تعلموا منها أن الحلم والألفة والمحبة هى الشريعة التى يريدها الله تعالى للناس ، إلا أن بعض كتاب الغرب مع كونهم يعرفون هذه الشريعة السماوية فى كتاباتهم عن المصريين فاننا نجدهم يسخرون من حلمهم ووداعتهم وحبهم للسلام، ولو أن السخرية وقفت عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنهم واصلوا التعبير عنها بإزاء ما كان يجتاح المصريين أحيانا من ثورات نفسية جارفة تدفعهم إلى استعمال العنف، فلا حلم المصريين فضيلة مستحبة ، ولا عنفهم رذيلة مكروهة، بل يتساوى حلم المصريين وعضبهم عند هولاء الكتاب الغربيين ، فحق فيهم قول السيد المسيح: زمرنا لكم فلم ترقصوا. نحنا لكم فلم تبكوا' (متى ١١ : ١٧).

ومادام التاريخ هو الحياة ، فهو قصة الناس حيثما كانوا وأينما وجدوا ، لهذا كان من الغريب أن ينظر إليه البعض بوصفه سردا لأسماء الملوك والحكام أو لما قاموا به من غزوات ومن أعمال جليلة ، إذا يجب علينا أن نرى فيه كفاح الشعوب وتطور الفكر لديها وتطلعها نحو الحرية الحقة والكرامة الإنسانية لذاتها.

ومع ذلك فمن يقرأ سير الملوك بإمعان يستطيع أن يرى بين

سطور هذه السير لمحات من هذا الكفاح، وهذه اللمحات وإن تكن ضئيلة احيانا إلا أنها فى الغالب تهدر فى قوة وعنفوان ، ولهذا نقراء عن الثورات التى قامت بها الشعوب من حين لاخر، كما نقرا عن قادة الفكر الذين أدركوا تعاليم الرسل والأنبياء على حقيقتها فأرادوا أن ينهضوا بالإنسانية جمعاء، ومن ثم فقد واجهوا الشدائد والأهوال فى ثقة وإستبسال، وهذا التاريخ الذى هو صورة للتطلع الإنسانى هو التاريخ الذى يجب أن نبحث عنه ونستجلى غوامضه لنجد فيه منهجا للقوة والجهاد ، إذ نحن فى حياة القادة والشعوب المتأهبة نورا يسطع علينا ويهيننا للكفاح ونحن بدورنا وبهذه النظرة يجب أن ننظر إلى الشعب المصرى على أنه تاريخ حافل بالكفاح فى سبيل الإحتفاظ بالاستقلال الفكرى رغم الاستعمار السياسى، وخير ما يوصف به هذا التاريخ بيت لأمير الشعراء أحمد شوقى يقول فيه:

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا

إن الحياة عقيدة وجهاد

ومن عجب أن إسم مصر غاب فى غياهب الظلمات فترة من الزمن، إلا أن التاريخ لا يستطيع تجاهلها دائما وأبدا لأن اسمها مذكور فى الكتب السماوية فقد ورد فى العهد القديم من الكتاب

المقدس مئة وسبعين مرة، وفى العهد الجديد ثلاث عشرة مرة، بينما جاء الحديث عن المصريين خمسين مرة فى العهد القديم وأربع مرات فى العهد الجديد وجاء ذكر مصر فى القرآن الكريم خمس مرات صراحة وأكثر من عشرين مرة بطريق الوصف والكناية.

وليس عجيبا بعد ذلك أن نجد الاستعمار يفشل فى استعمال قاعدته الأساسية فرق تسد فقد فوجىء بشعب متكاتف صلب ودعنا نضرب مثالا بثروة عرابى فى تلك الأثناء كان يعتلى السدة المرقصية قداسة البابا كيرلس الخامس الذى كان فى مقدمة المصريين القبط والمسلمين الذين ترهف وعيهم بمسئولية وطنية فكان عضوا بمجلس الشورى وساند عرابى ورجاله فى موقفهم ضد الخديوى وضد الأنجليز وكانت مساندته للوطنين مشتعلة إلى حد أنه حين انهارت آمال مصر بدخول الأنجليز، وأعلنوا على الملأ أنهم ليسوا معتدين سياسيين إنهم قد خانوا مسيحهم باقتحامهم هذا للبلاد الأمنة لأن السيد المسيح عاش وعلم المحبة، بالإضافة إلى أنهم مكمن الخطر على القبط نظرا لأطماع الكنيسة الأسقفية الإنجليزية ونشاطها التبشيرى بينهم.

ومن هذا الموقف المصرى الصريح نرى أن هذا البابا المرقصى

قد جعل من نفسه هدفا لعداء المستعمر وأعوانه .

كانت هناك أيضا هزة عنيفة للقومية استثمرها مصطفى كامل فسرت منه إلى أبناء مصر وضاعفت أحاسيسهم بعزتهم فلقد كان الزعيم الشاب ملتهبا بحب مصر إلى حد جعله يقول:

لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا ! ولم يكن من رجال السيف فاستعان بالقلم وهو السيف ، سيف الكلمة الذى كان طبعا فى يده وكان عليك ناحيتها والكلمة المنطوقة التى كانت تنساب من شفتيه إنسياب الماء العذب فى مجراه .

وفى مارس سنة ١٩٠٧ وقف خطيبا فى الإسكندرية فأشعل القلوبا ومن كلماته يومذاك أن المسلمين والأقباط شعب واحد مرتبط بالوطنية والعادات والأخلاق وأسباب المعاش ولا يمكن التفريق بينهما إلى الأبد.

ولكن سبحان الله الذى لا يمكن للعقل الإنسانى أن يدرك حكمته... فقد شاء أن يموت هذا الثائر المتزن وهو دون الرابعة والثلاثين إلا أن حركته الوطنية أفزعت قوات الاحتلال ، فضاعفت جهودها لتفتيت هذه الوحدة الرائعة التى قوى مصطفى كامل دعائمها وبالتالى فقد ضاعفت سياسة فرق تسد وكانت قد نجحت فى الإيقاع بين مصطفى كامل وبين الخديوى عباس حلمى الثانى، كما أوقعت أيضا بين الطامعين فى الحكم

وبين المستعدين للفداء. وكان هذا النجاح فى الميدان السياسى، فاتجهت هذه القوى نحو الميدان الدينى إذ قد هالها مؤازرة البابا كيرلس الخامس لبطل الوطنية كما هالتها نتيجة هذه المؤازرة بإنضمام القبط إلى مصطفى كامل.

وبإزاء هذا التحدى القبطى الصريح استشار المستعمر أولئك الوافدين على مصر بإسم التبشير ليضاعفوا جهودهم بدورهم ويفتوا فى عضد القبط، كذلك إستعان بجريدة المقطم لاستفزاز الموالين لأصحاب السلطة ضد التطلع الوطنى.

أما من حيث الاستفزاز السياسى فقد لعب الإنجليز لعبتهم بمهارة فائقة وذلك أنهم إتخذوا ثلاثة من المصريين تكئة للحكم بواسطتهم على أهالى دنشواى، وهؤلاء الثلاثة هم بطرس غالى وفتحى زغلول ومحمود بسيونى ، وبعد تنفيذ الحكم الإنجليزى بيد هؤلاء المصريين أقاموا بطرس غالى رئيسا للوزراء . وكان هو قد وقع قبل ذلك على اتفاقية سنة ١٨٩٩م التى اعترفت بحق الإنجليز فى السودان، وبعد توليه الوزارة وافق على إصدار قانون الصحافة الذى أسكت الأقلام الحرة بإغلاق الجرائد المعارضة وأحيانا بسجن المعارضين أو نفيهم ، وحينما عرض موضوع مد امتياز قناة السويس أربعين سنة أصر مجلس شورى النواب على رفضه وحاول بطرس غالى

إقناع الأعضاء بقبوله فكان موقفه هذا هو الإستثارة النهائية التى دفعت بالشاب الصيدلى إبراهيم الوردانى إلى أن يطلق الرصاص عليه ثلاث رصاصات وهو خارج من مكتبه بالوزارة فكانت فرصة مواتية إستغلها الإنجليز للوقيعة بين القبط والمسلمين رغم أنهم إعترفوا فى كتاباتهم الخاصة بأن الدافع للجريمة كان سياسيا ولا مسحة للتعصب الدينى عليها وكان ذلك فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٠ . كما أن كتاباتهم السرية التى ظهرت أخيرا قد أثبتت أن بطرس غالى لم يمت بالرصاص الذى أطلقه عليه الوردانى بل مات بالدواء الذى عالجه به الطبيب الأنجليزى!. وقد أكد القبط أنفسهم هذا الواقع فقال مرقص فهمى (من كبار المحامين) : إذا كان قد قام بالقتل وردانى وحده مع شركائه فليس هذا دليلا على أن كل المسلمين أرادوا هذا القتل بسببه... والتضامن هو روح الوطنية وروح كل اجتماع ، فلا وطن بدونه ولا مسلمين بدونه. وكان بين الدارسين انذاك نصيف جندى المنقبادى فأرسل خطابا إلى صحيفة ليه كلير الفرنسية يقول فيه : أنا أعرف الوردانى شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعرفة ملأت صدره الوطنية الحرة وليس رجلا متعصبا.. وأنا بصفتى قبطيا أعنى مصريا مسيحيا أصرح

بأن حركتنا هى حركة مصرية مجردة وأما تهمة التعصب الإسلامى فهى إلا من ليست شائعات الإنجليز.

ولقد إستغل الإنجليز مقتل بطرس غالى أبعد إستغلال للتشهير بالتعصب المتفشى فى مصر، وأخذوا يستشيرون المصريين ضد بعضهم البعض بشتى الوسائل، وأفلحوا في دفع بعض القبط إلى الشكوى من ظلم المسلمين لهم، كذلك و أفلحوا في جعل أخنوخ فانوس وهو أسيوطى وكان ممن تحولوا إلى البروتوستانتية الأمريكية أن يؤلف جمعية أسماها (مجتمع الإصلاح القبطى) تستهدف بث روح التذمر بين القبط، وقد تصدى له ويصا واصف فى الحال وكتب سلسلة من المقالات فى جريدة اللواء موجها فيها حديثه إلى أخنوخ فانوس، فكان مما قال له: شكلت جمعية سميت بمجتمع الإصلاح القبطى فأنتخبت رئيس الطائفة الإنجيلية لها رئيسا، ثم دعتنا إلى الإنضمام لها والإنتظام فى سلكها فسألناها: ما غرضك وإلى أى شىء ترمين؟

إن كنت حزبا سياسيا فنحن لك أعداء.

كما إنبرى الشيخ عبد العزيز جاويش فكتب مقالا فى اللواء أيضا قال فيه: ها هو المستر جورست يريد أن يقدم لقومه قبل سفره إلى لندن ما يثبت لها مهاراته، حتى إذا حط به الرحال

وخلا إلى أولى الأمر فيها قال : هاننذا قد نلت ما لم ينله سلفى ونجحت فيما فشل فيه أستاذى إذ حاول اللورد كرومر مرارا التفريق بين عنصرى الأمة، وطعن المسلمين بالأقباط فلم ينجح ولم يفلح، ولكنى تمكنت بإشارة صغيرة منى إلى فريق من صغار الموظفين أن أوجد الفكرة التى كان اللورد يجد من ورائها ولم يصل.

كذلك كتب سالم سيدهم تادرس فى جريدة التايمز المصرى مقالا وجهه إلى أخنوخ فانوس قال فيه : لقد أصبحت الشخص الذى إذا مر فى الطريق قلنا هذا أحد صنائع الإنجليز فى مصر والآلة التى تحركها جريدة المقطم، اتق الله أيها المجاهد فى الباطل!

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها الوطنيون الصادقون فقد استمر الاحتلال والإحتلاليون ينفثون سموم الفتنة! حتى لقد بدا أنهم سيفلحون فى إشعالها فعلا إذ قد عقد القبط مؤتمرا خاصا بهم فى ٦و٧و٨ مارس سنة ١٩١١ فى أسيوط، فرد عليه المسلمون عليهم بمؤتمر خاص أيضا فى ٢٩ و ٣٠ أبريل من نفس السنة فى مصر الجديدة، ولقد عارض الأنباكيرلس فكرة المؤتمر فى إصرار وأرسل تحذيرا بذلك إلى القائمين بتنظيمه إلا أنهم لم يصغوا إليه لأن عددا كبيرا منهم كانوا قد

خدعوا فخرجوا على كنيستهم كما أن البعض منهم كانوا وكلاء قناصل لدول أجنبية.

أما المؤتمر الإسلامى فقد جاء ردا على المؤتمر القبطى، وفيه أيضا تبودل المد والجزر، ولكن الإحساس المصرى اللماح فى كل من المؤتمرين كان قد أتخذ طريق التفاهم. فقد كان الطابع العام فى كليهما طابع العقاب وفيه يقول أحمد شوقى أمير الشعراء:

أما العتاب فبالأحبة أخلق
والحب يصفو بالعتـاب ويصـدق

ولأن الخلاف كان قد بلغ أقصاه بين الأخوين فى هذه السنة فلقد إتضح إنه (إذا كان هذا هو الأقصى) فهو أبلغ دليل على الوحدة والإمتزاج بين أبناء الوطن الواحد. وذلك أنه حين وقف الأخوان على هذه القمة فقد رأيا معا الهوة السحيقة التى حفرها لهما الاستعمار لإيقاعهم فى أعماقها فتراجعا معا فالمؤتمران لم يكونا القمة فيما يقصدان إليه من تصعيد للخلاف بل كانا القمة التى وقف عندها الصعود وبدأ بعدها السهل يهبط. والذى حدث سنة ١٩١١ يصدق عليه قول بعض الأجانب من أن مصر بلد المتناقضات فقد دعا إلى كل من المؤتمرين دعاة الشقاق ولكن دعاة الوئام هم الذين سيطروا عليهما.

وقد حضر الصحفي المسلم عبد القادر حمزة المؤتمر القبطي ثم أبدى ملاحظاته في صحيفة الأهالي في ١٤ مارس بقوله: (أعجبني من خطباء المؤتمر أنهم ضربوا في أقوالهم على نغمة الإتحاديين الأقباط والمسلمين وأعجبني على الأخص تصفيق السامعين لكل كلمة أو إشارة يراد بها هذا الإتحاد ولاريب في أن المسلمين كأنواهم أول المرحبين بهذه النغمة.

ولقد عبر شاعر قبطي عن واقعية هذا الاحساس بالأبيات التالية:

أبـنـاؤهـا عـبـد المسـيـح وأحـمـد
والـمـوسـوي ولـيـس ثـم دخـيـل
لا فـرق بـين الـعـالـمـين وأرضـهـم
وطـن وحـيـد والـجـمـيـع سـلـيـل
هل في الـسـمـاء مـذاهـب وعـنـاصـر
هـل ثـم إلا صـاحـب وخـلـيـل

ونجد هذه الواقعة عينها يعبر عنها الشيخ عبد المطلب ببيت واحد من الشعر فيه الكفاية ردده على جمع من القبط والمسلمين كانوا حضورا أثناء خطبة ألقاها قال:

كـلانـا عـلـى ديـن بـه هـو مـؤمـن
ولـكـن خـذلان الـبـلاد هـو الـكـفـر

ولكى ندرك مدى تلاعب الإنجليز فى هذا الوقت يجب أن نعرف أن ألـدون جورست شن حملـة شعواء على عقد المؤتمر القبطى وساندته فى عنفه الصحف البريطانية التى تصدر داخل حدود بلادها، وأما الصحف الإنجليزية التى كانت تصدر فى مصر آنذاك فقد أخذت تحبذ إلى عقده وتساند الداعين إليه.

وخير تلخيص لما حدث فى المؤتمرين ما قاله الدكتور محمد حسين وهو: لم تكن هذه المحنة شرا خالصا. فقد وضعت هذه الخصومة السافرة حدا لسوء الظن المتبادل بين الفريقين، وكانت تنفيسا شفى النفوس وفرصة لتصفية ما بين الأخوين من خصومة وعلاجها بطريقة صحيحة وقد بث كل منهما شكواه وعبر عما يجد وعاتب صاحبه عتابا إن يكن عنيفا قاسيا خشنا فى بعض الأحيان فقد انتهى باعتذار كل منهما لصاحبه كلى كل حال... لذلك نستطيع أن نقول إن هذا الشر المستطير كان نقطة البداية لخير عميم. وإذا كان من الحق أن هذه الخصومة كانت قمة العنف فى النزاع الذى ينذر بتصدع الجامعة المصرية فمن الحق أنها كانت فى ذات الوقت هى الميلاد الحقيقى لفكرة الوطنية المصرية.

ويستمر النضال ضد المستعمر الإنجليزى بصبر وعناد ولكى

يعلم الأبناء مدى بسالة آبائهم يجب أن يذكروا أنه حين اندفع المصريون في ثورتهم الرائعة ضد إنجلترا فقد قاوموا تلك الامبراطورية التى كان يفخر أصحابها بأن الشمس لا تغرب عن أطرافها، وليس ذلك فحسب بل إنهم قاوموها في أوج انتصارها ! ولهذا السبب كانت الثورة المصرية هى الشرارة الأولى التى أشعلت كل الثورات ضد الاستعمار بين جميع الشعوب الأفريقية والآسيوية وثمة حقيقة أخرى خليق بنا أن نعتز بها وهى أن فترة الحكم البريطانى لمصر كانت أقصر فترة قضاها هذا المستعمر فى أى بلد آخر وأن الهدف الأسمى من تسجيل هذه الوقائع هو الاجابة على الذين يفترون على سمعة مصر بقولهم أن أبناءها جبناء يرتضون بالذل.

ويستمر التاريخ يسرد لنا وقائع كفاح الشعب المصرى أثناء ثورة سعد زغلول والتى كانت ثورة مصرية صحيحة إنضوى تحت لوائها جميع المصريين بحماس وتلقائية حتى لقد بدا للأجنبي أنه لم يعد هناك قبطي ولا مسلم إذ قد ربطت بينهما قومية مصرية بحتة، وكان العلم الذى إعتز سعد زغلول برفعه هو هلال يحتضن صليبا بينهما كان يسير علماء الأزهر وقساوسة القبط جنبا إلى جنب فى مقدمة المتظاهرين بل لقد كان بعض الكهنة يرأس الاجتماعات الوطنية التى تقام فى

المساجد ويرأس العلماء تلك التى تقام فى الكنائس وسواء كانت فى المساجد أو الكنائس فلم يكن يتحدث الكهنة والشيوخ عن آية مسألة طائفية ولا أى موضوع دينى بل كان حديثهم كلهم يتركز على الهدف الوطنى. كما أن وجودهم معا وهم يتبادلون الاجتماعات فى المساجد والكنائس كان مظهرا له أثر قوى لا يخيب ودليلا ناصعاعلى ترابط العنصرين فى إبراز الصفة المصرية وحدها ، وقد سجل هذا الواقع الرائع عدد من الكتاب الأجانب من بينهم هانز كوهن ذو النزعة الصهيونية الذى قال : إن أكثر الأحداث جدارة بالملاحظة فى ثورة ١٩١٩ هو الإخاء بين المسلمين والقبط المتحدين على هدف موحد لبعث أمة جديدة.

بينما يعلق طارق البشرى على هذا الواقع بعينه بقوله إذا كان هذا هو كل ما أتى به الوفد وثورة ١٩١٩ فكفى به مغنما إذ عصم الجماعة المصرية من الانقسام والوهن وأقامها على أساس من العقل (رشيد).

على أن الإنجليز لم ييأسوا أمام هذا الترابط الوثيق فأشاعوا أن وجود الكهنة والشيوخ على رأس المتظاهرين ، وتجمع الجماهير فى المساجد والكنائس دلالة على أن الحركة المصرية تصطبغ بالصبغة الدينية العامة فرد محمد عبد

القادر حمزة مدير صحيفة الأهالى بمقال نشره فى تلك الصحيفة قال فيه : اعتادت الأقلام السياسية أن تضرب على نغمة التعصب الدينى فيما يتعلق بقضية مصر الوطنية، فإذا هتف مناد باسم الوطن قالت تعصب دينى . وإن اجتمع قوم لإعلان شعورهم نحو مستقبلهم قالت هذا من صور التعصب الغريزي تعنى الدينى وإن طالبوا حاكميهم بتحقيق آمالهم وضمانه الفوز فى مصيرهم ، سقطت السماء على الأرض وتبدل الليل نهارا وأصبح الوطنيون وحوشا مفترسة لا يستحقون إلا أن يعيشوا مستعبدين . حبذا التعصب إذ يرمى إلى حب الوطن وهو من الإيمان وإلى طلب الحياة المجيدة.. تعيب الإجيبشيان ميل حركتنا بانتظام رجل الدين فيها، ولا تحسبهم جزءا من الأمة يهمهم ما يهمها وينالهم خيرها وشرها. إن إنتظامهم فيها خير كفيل بسيرها فى سبيل التعقل والحكمة ، لأن الدين وهم حراسه لا يعنى بشىء أكثر من عنايته بالتفكر والتعقل...

وحينما أشعل سعد زغلول الثورة لم يكن إشعاله إياها بكلماته بل ذهب هو وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمي يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ إلى دار المندوب السامى عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة وذكروه بالشعارات التى رددوها طوال الأعوام الرهيبة مطالبين إياه بتنفيذها فعلا والجلاء عن مصر

ولكن فرصة الانتصار ضاعفت من تشامخ المستعمر فلم يكتف برفض هذا الطلب بل أصدر الأمر بنفى سعد زغلول إلى جبل طارق فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩١٩.

وفى الوقت عينه تقرر تأليف لجنة من بعض الساسة الانجليز برئاسة الفايكونت ملنر وايفادها إلى مصر، على أن سعد كان قد طالب المصريين بمقاطعة هذه اللجنة وكانت إستجابة الشعب له عنيفة إلى حد اضطرار الوزارة إلى الاستقالة قبل أن تصل إلى مصر، وحينذاك تعمد المندوب السامى أن يكلف يوسف باشا وهبة القبطى بتأليف الوزارة مستهدفا بذلك أن يضرب الوحدة الوطنية فى الصميم.

وفى الحال أسرع عبد الرحمن فهمى فتفاهم مع القمص باسيليوس راعى كاتدرائية مار مرقص بالأزبكية الذى كان قد جعل من كنيسته مركزا من مراكز الثورة وبعد مقابلته كتب إلى سعد زغلول يقول:

لما علمت بأن الأمة القبطية الكريمة قد إستاءت جدا من قبول يوسف باشا لرئاسة الوزارة فى هذه الظروف الحرجة، وأن وحتى لا يسبب هذا نفورا بينها وبين الأمة الإسلامية فقد استصحبت ستة من إخوانى أعضاء الوفد واللجنة الوفدية وتوجهنا إلى الكنيسة يوم الأحد ٢٢ ديسمبر وأبدينا لهم

مشاركتنا إياها فى تألمنا من قبول يوسف وهبة لمركزه الجديد وأكدت لهم أن هذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يسبب أى نفور فى علاقتنا لأنه إذا كان من بينهم خائن قد قبل الوزارة فى هذه الظروف الحرجة، فقد أقمنا من بيننا سبعة بجواره من المسلمين أعضاء الوزارة الجديدة! وتدور الأحداث وتتصاعد حدتها ويتم نفى سعد ثم عودته ثم نفيه ثم عودته إلى إن جاءت سنة ١٩٢٤ عندما تولى سعد زغلول الوزارة لأن الوفد كان قد حصل على أغلبية ساحقة فى الإنتخابات وحين ذهب ليعطى الملك فؤاد كشفا بأسماء الوزراء الذين اختارهم واطلع عليه الملك قال له : يبدو أن هناك غلطة ربما تكون قد فاتت عليك لفسأله سعد ، وما هى؟ فأجابه : أرى قبطيين ضمن الذين اخترتهم ، وقد جرى العرف على أن يكون ضمن الوزراء قبطى واحد فقال سعد لفوره : ليست هناك غلطة إطلاقا ، فأنا تعمدت اختيار قبطيين لأن وزارتى وزارة ثورة وليست وزارة عرف ، ثم استكمل رده قائلا : عندما كان الإنجليز يطلقون علينا الرصاص لم يلاحظوا أية نسبة بين القبط والمسلمين وعندما نفونا إلى سيشل لم يراعوا النسبة أيضا فكنا أربعة مسلمين واثنين قبطيين ، وعندما حكم الإنجليز على أعضاء الوفد بالإعدام لم يراعوا النسبة كذلك فكانوا ثلاثة من المسلمين وأربعة من

الأقباط.

وقبل إفتتاح الدورة البرلمانية طلب سعد زغلول الى قداسة البابا أن يختار من ينوب عنه كعضو فى مجلس الشيوخ، فوقع إختياره على الأنبا لوكاس مطران قنا. وكان واحدا ممن أرسلهم إلى أثينا، كذلك طلب إليه أن يباركه ويبارك وزارته فلبى طلبه على الفور، ثم حدث عندما نجح الملك فؤاد فى إسقاط الوزارة الوفدية وتعيين وزارة موالية له، أن طلب من البابا الوقور بركته فأجابه، أن البركة لا تمنح باليمين وتسلب باليسار.

وهكذا نرى أن كل حركة وطنية صحيحة اشتعلت فى مصر كان أقوى مظاهرها الإخاء بين المسلمين والقبط. بل لقد كان هذا الإخاء هو الطبيعة التلقائية المصرية إذ قد كتب عبد الله النديم فى ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٢ تحت عنوان (المصريون والأربيون) يرد على التايمز والجرائد الموالية للإنجليز تهمة التعصب الدينى ويبين كيف يعيش المصريون القبط والمسلمون معا فى مصر فى أمان تام وتوازن وسلام يعملون لوطنهم، يدا واحدة.

ومع نهاية القرن العشرين وبالتحديد منذ أن سقط حائط برلين عام ١٩٨٩ وتفكك الإتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠ حتى بدا العالم وكأن قد أصابه وباء جديد نتيجة تفجر الكراهية

والعداوة بين مجموعات بشرية قد تكون ممن تعيش في دول مشتركة أو متعايشة فى داخل إقليم واحد أو وطن واحد وقد تتحول الكراهية إلى صراعات تشتعل لتكون حروبا أهلية تملأ أخبارها وسائل الإعلام وبسرعة تتوارى أخبارها لكي تظهر أخبار جديدة تغطى صراعا فى مكان آخر حتى احتلت أخبار هذه الصراعات مكان الحرب الباردة التى عشناها نحن من نحو عام وتفكك الإتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠ . ولعل أخطر هذه الصراعات وأشهرها ذاك الإنهيار الذى أصاب يوجوسلافيا السابقة ورأينا حرب البوسنة والهرسك كأكبر مأساة بشرية! إلى أن استطاعت الأمم المتحدة وأوروبا وأمريكا أن توقف الحرب بعد أن قتل الملايين ! وهناك عشرات من حالات متشابهة فى مواقع كثيرة أخرى حيث دار ومايزال يدور الصراع بسبب الخلاف فى الدين ثم إمتدت الظاهرة لتشمل مصادمات حادة بين جماعات تنتمى إلى ذات الدين، ففى أيرلندا صراع قديم بين البروتستانت والكاثوليك ، وفى أفغانستان كانت حرب شرسة بين فرق تنتمى إلى حركات المجاهدين الذين تحالفوا للتحرر من الاحتلال السوفيتى ، ولكن ما إن خرج السوفيت حتى تناحرت الفرق الدينية والقبلية المتحاربة وحتى تم الإتفاق بين أطراف النزاع فى أيرلندا عام ١٩٩٨م.

وعلى حدود كل من تركيا والعراق حروب تكمن أحيانا وتشتعل أحيانا أخرى بسبب مشاعر جماعية لشعب عرف باسم الأكراد رغب أن يكون له دولته المستقلة ولكن اتفقت رغبة الحكومات المجاورة التى بها أقلية كردية على اضطهاد هذه الحركة على الرغم من أن الديانة السائدة فى كل هذه الدول بما فيهم الأكراد أنفسهم هى الإسلام.

أما الحرب الأهلية فى جنوبى السودان فقد بدأت منذ سنوات طويلة قبل أن يسقط حائط برلين كان آخرها من عام ١٩٨٣، وخلال فترة الإستقلال من عام ١٩٥٦ أى منذ نحو ٤٥ عاما ، واشتعلت الحرب الأهلية لنحو ٢٢عاما متقطعة وربما كان ذلك بسبب أنها من الحالات الصارمة للصراعات الأهلية الداخلية حيث تجمعت كل أسباب الفرقة فأهل الشمال ينتمون للإسلام ويتمسكون بالعروبة على الرغم من أن العروبة هناك ممثلة فى اللغة أكثر من وضوحها فى لون البشرة أى من ناحية السلالة أما فى الجنوب فالإنتماء واضح أنه لسلالة الشعوب الأفريقية المسماة الزنجية أى أن هناك خلافا فى السلالة كما يوجد خلاف فى الدين حيث تنتشر فى الجنوب ديانات متعددة بما فيها المسيحية والإسلام وديانات أخرى قديمة يسمونها بالوثنية.!

وما يجرى فى الجزائر فأمر عجب فهو نموذج حاد وصارخ للصراع بين المنتمين إلى الحركة الإسلامية وبين فريق آخر ينتمى إلى التيار الليبرالى العلمانى غير المعارض للثقافة الفرنسية أو التعامل مع الغرب وهذا القطاع الأخير يشمل ضمن ما يشتمل السلالة المعروفة باسم البربر ولها توجهات إشتراكية ديموقراطية ويدعمها تأييد فرنسى ولذا فالجزائر ساحة للصراع السياسى والأيديولوجى كما أن له بعدا ثقافيا وعرقيا على الرغم من أن أهل الجزائر ينتمون جميعا إلى الإسلام.

ووسط هذه الصراعات نجد مصر نموذجا خاصا فهى تتمتع بخاصية الوحدة الوطنية لتعبر فى واقع الأمر عن العلاقات الحميمة بين الديانتين الرئيسيتين فى مصر وهما الإسلام والمسيحية، وذلك أن الظروف التاريخية والحضارية التى مرت بها مصر كما ذكرنا سابقا قد جعلتها نموذجا فريدا بين دول المنطقة.

والإسلام المصرى له خصوصية أنه قد تأثر بكل دقائق الحضارات السابقة عليه، ومن ثم فله نكهة خاصة يلمسها المرء فى ارتفاع درجة التسامح عند المصرى بشكل عام ، فالمسلم المصرى وفى الأغلب الأعم محب للقبطى المصرى بسبب أن هذا القبطى الآخر هو أيضا له خصوصية أنه مصرى، وتلك

الخصوصية كانت قد أثمرت عندما رفض الأقباط بشدة شرط إعلان بيان الاستقلال فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الخاص بحماية الأقليات وقالوا إن عبارة الأقليات قد تنطبق على الأقليات الوافدين من خارج مصر مثل اليونانيين، الطلاينة، الأرمن ، أهل الشام ، أما الأقباط فهم من أهل مصر الأصليين وليسوا بأقلية.

وقد استمر هذا الوضع والفهم إلى أن رغب أحد مراكز البحث فى أن يعقد موتمرا عام ١٩٩٤ لبحث مشكلة الأقليات فى العالم العربى ومنهم أقباط مصر فكان أن سجل الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى مقال شهير نشر بالأهرام بأن الأقباط مواطنون مصريون وليسوا أقلية ، وكان ذلك نقطة انطلاق جديدة لتفجر الطاقة الكامنة للوحدة الوطنية فى مصر ورفض كل من المسلمين والأقباط عبارة أن الأقباط أقلية لأن المصريين جميعا قد شعروا بالإهانة فى أن تناقش فيه مشكلات وهموم الأقباط فى المكان والزمان ذاته الذى تناقش فيه مشكلات أقليات أخرى فى العالم العربى مثل قضية الأكراد فى العراق أو البربر فى الجزائر أو غيرها.

وقبل أن أنهى حديثى عن الأقباط والشخصية المصرية وتاريخ الوحدة الوطنية أرجو أن أقدم اعتذارى للقارىء الحبيب إذا كنت قد أطلت الحديث عن هذا الموضوع، ولم يكن

ذلك لتأكيد حقيقة الوحدة الوطنية فهى حقيقة لا يرقى إليها الشك وإنما لأذكر أولئك الذين تفزعهم بعض الحوادث العارضة التى قد تحدث من ان لآخر ولكنها لا تفت فى عضد الوحدة الوطنية وما أحوجنا فى تلك الأيام إلى الثقة بحضارتنا وثقافتنا فى نموذجنا المصرى الفريد فى ثقافة قبول الآخر كما أسماها الدكتور ميلاد حنا فى زمن العولمة وظهور نظريات مثل نظرية صدام الحضارات لصموئيل هانتجتون.

وفى النهاية أختم حديثى بأبيات للفنان بيكار مع رسم تعبيرى عنها نشر فى مجلة آخر ساعة فى ٣٠ /١٩٨١/٩ قال فيها:

طول عمرك يامصر عايش فيكى القرآن مع الإنجيل
طول عمرك رافعة رايات السلام ومولعة القناديل
ياأرض الحب. ياللى بارك ترابك موسى وعيسى والخليل
لايوم عرفت الغل... ولا التشكيك ولا التضليل
ولايوم عرفت الفتنة... ولا التخريب ولا التقتيل
الجرس والمدنة أخوات. والتسابيح مع التراتيل
رافعين إيديهم للسماء وبكل الحب الحب والتهليل
بيقولوا الرب واحد والوطن واحد والوحدة مالها بديل .

رومـــــا :
الإمبراطورية الوثنية

دخلت المسيحية الناشئة، مع الوثنية العجوز العاتية فى صراع طويل مرير قرابة قرون من الزمان، ونعنى بالوثنية هنا الإمبراطورية الرومانية التى كانت أكبر دولة منظمة وأكبر قوة عسكرية وقتئذ، وشملت ممتلكاتها الشاسعة معظم العالم القديم المعروف.

كانت الوثنية هى العدو الأكبر الذى تحدى المسيحية، وقاومها مقاومة المستميت، وحاربها حرب الإبادة، حرب الحياة والموت ولا يسجل التاريخ صداما أقوى وأطول وأكثر وحشية من ذلك الصراع الذى إحتدم بين روما الإمبراطورية الوثنية

بآلهتها وأباطرتها وجحافلها، وبين المسيحية التى ظهرت على مسرح العالم بلا سند من قوة زمنية، وبلا سلاح حربى الا من قوة الدين..

كانت المعركة تبدو غير متكافئة، معركة السيف والقوة المادية، مع المثاليات الأدبية والروحية.

لقد بدأت سلسلة هذه الحروب في روما ذاتها وتحت قيادة نيرون، وانتهت عند قنطرة ملفيا على بعد ميل واحد من روما على يد قسطنطين.

كان القصد من تلك السلسلة الطويلة من الحروب هو ابادة المسيحية وملاشاتها، ولكنها على العكس من ذلك فقد كانت سببا في إظهار بطولة أتباعها.. الأمر الذى أدى إلى انتشارها أكثر بدخول كثيرين من الوثنيين فيها. ولا يمكن فهم موضوع تحدى الإمبراطورية الرومانية الوثنية الضارية فى القدم للديانة المسيحية الناشئة إبان ظهورها، وفى طور طفولتها مالم نفهم نفسية الإنسان الرومانى من جهة الدين والآلهة التى كان يتعبد لها وأثرها فى حياته، وإننا لنجد أن موضوع الاستشهاد فى المسيحية على يد الدولة الرومانية الوثنية يبدو غريبا ويقدم لنا صوراً ساذجة لتصرفات دولة عظيمة وأباطرة

عظام!! إننا غالبا ما نجد في سير الشهداء ما يصور لنا أن سبب استشهادهم هو رفضهم السجود لتمثال الإمبرطور أو الاشتراك فى التبخير للآلهة. ولكن خير ما يعيننا علي فهم هذه التصرفات كما قلنا هو الوقوف على التأثيرات النفسية للديانة الوثنية على الإنسان الرومانى القديم وهذا هو رأى العلامة فوستيل دى كولانج في كتابه المدينة العتيقة، دراسة لعبادة الاغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم بقوله:

تأمل أنظمة الأقدمين دون أن تفكر في معتقداتهم تجدها غامضة، شاذة، غريبة، لاتفسر.. ولكن بوضع المعتقدات قبالة هذه الأنظمة وهذه القوانين فسرعان ما تصبح الوقائع أكثر جلاءا، ويعرض تفسيرها من تلقاء نفسه.

ودعنا الآن نعرض الأثر الديني على الرومان فى مختلف نواحى حياتهم:

١ - فى الحياة الخاصة :

كان الدين هو محرك كل شيء فى حياة الإنسان القديم، وقد كان هو المحرك الأول والأخير فى كل تصرفاته، ويقول فوستيل دى كولانج:

كان الدين يتدخل في كل علاقة وحركة في حياة الإنسان الوثني وأسرته وحياته العامة، حينما يولد الإنسان، وحينما يتزوج، وحينما يموت يجب عليه أن يستعطف الآلهة ويسترضيهم لئلا يؤذوه، أو في القليل لايسببوا له حزنا، وفي زوايا الشارع، وعند أبواب البيوت وفي الصالات، وحجرات النوم بل وفي كل مكان كانت العين تصطدم بصورة الآلهة الوثنية، وليتبع ذلك الإحتفالات وما فيها من تقديمات هي القرابين والهدايا دينية للآلهة.

٢ـ في الحياة العامة:

.... لم يكن هناك عمل واحد من أعمال الحياة العامة لايدخلون الآلهة فيه، وحيث إنه كانت تتسلط على الإنسان فكرة الآلهة وطورا تكون حماة ممتازة وطور أعداء الداء، فإنه لم يكن يجرؤ إطلاقا على إتيان عمل ما دون ان يكون واثقا من أن الآلهة راضية عنه.

٣ـ في حياة الزارع:

كان كل عمل في حياة الزارع مصحوبا بالقرابين، وكانوا

يقومون بالأعمال وهم يرتلون الأناشيد المقدسة، ففى روما كان الكهنة يعينون كل عام اليوم الذى يجب فيه قطف العنب، واليوم الذى يستطيعون فيه أن يشربوا الخمر الجديدة، كانت الديانة تنظم كل شىء، والديانة هى التى تأمر بتشذيب الكروم...

٤ ـ جلسات مجلس الشيوخ :

لم يكن الشعب يجتمع فى المجامع إلا فى الأيام التى تسمح له الديانة فيها بذلك.... وفى روما كان لابد قبل دخول جلسة مجلس الشيوخ من تأكيد المستخيرين أن الآلهة راضية، وكان المجمع يبدأ بصلاة يتلوها المستخير ويكررها القنصل من بعده وفى روما كان المكان الذى يجتمع فيه مجلس الشيوخ هو المعبد دائما، وإذا عقدت جلسة فى مكان آخر غير مقدس فإن القرارات التى تتخذ، يلحقها البطلان، إذ أن الآلهة لم يكونوا حاضرين فيها، وقبل كل مداولة يقدم الرئيس قربانا ويتلو دعاء، وكان فى القاعة مذبح يريق عليه كل شيخ السكائب عند دخوله، ويدعو للآلهة....

٥ - فى القضاء:

وكانوا يجلسون فى المدينة ، وفى روما كما فى أثينا إلا فى الأيام التى تبين الديانة أنها من أيام القبول...

٦ - فى الحـــرب:

وكان للديانة من السيطرة فى الحرب بقدر ما كان لها فى السلم على الأقل، وكانت فى البلدان الإيطالية فرق من الكهنة تسمى فسيالس FECIALES

ترأس جميع الاحتفالات المقدسة الناتجة عن العلاقات الدولية وكان الفسيالس يعلن الحرب وهو يتلو صيغة مقدسة بعد أن يكون قد غطى رأسه بقناع من الصوف، طبقا للشعائر واستشهد بالاله وفى نفس الوقت يقدم القنصل قربانا... وكان الجيش أثناء المعركة يمثل صورة للمدينة ، وكانت ديانتها تلاحقه.. يحملون معهم تماثيل معبوداتهم، وكان كل جيش يحمل معه موقدا ويغذى ناره المقدسة ليل نهار، وكان يرافق الجيش الرومانى الكهنة والمستخيرون.. وكانوا يقدمون قربانا بعد كل إنتصار. وذلك هو الأصل فى موكب النصر المعروف جيداً

لدى الرومان، وكانت هذه العادة هى نتيجة الرأى الذى كان ينسب لآلهة المدينة...

٧ـ فى كل شىء :

وهكذا كانت الديانة تتدخل فى كل الأعمال، فى زمن السلم وفى زمن الحرب كانت حاضرة على الدوام، محيطة بالإنسان، فكان كل شىء تحت سيطرة ديانة المدينة. الروح، والجسد، والحياة الخاصة والحياة العامة، الأكلات والأعياد، والمجامع، والمحاكم، والقتال، كانت تنظم كل أعمال الإنسان وتتصرف فى جميع لحظات حياته، وتعين كل عاداته، كانت تحكم الكائن البشرى بسلطان مطلق بلغ من أمره أنه لم يبق أى شىء خارجا عنها.

وحسنا قال المؤرخ الكبير شافSCHAFF كانت العبادة الوثنية تتدخل فى كل مرافق الدولة الرومانية، كخيوط النسيج الواحد المغزولة معا، بل لقد جعلت من الدين أداة لسياساتها.

وهكذا نفهم السر فى مقاومة الدولة الرومانية الوثنية من أباطرة وحكام وشعب وكهنة للمسيحية والمسيحيين لم تكن

المسألة إذن رفض المسيحيين للسجود للآلهة أو التقرب لها، لكن المسألة كانت أعمق من ذلك بكثير فقد كان الرومان يعتقدون أن أمنهم ورفاهيتهم وحياتهم، وكل شيء متعلق بآلهتهم، وأن هؤلاء المسيحيين إنما هم اعداء للآلهة... لذلك فحينما كانت تحل الكوارث والنكبات في الدولة سواء في الحروب والمعارك أو بسبب الكوارث الطبيعية كفيضانات الأنهار أو الزلازل والبراكين أو الأوبئة والمجاعات أو القحط والجدب بسبب قلة الأمطار، كانت ترتفع أصوات جميع الوثنيين على السواء: هذا بسبب أعداء الآلهة ! كانت غير راضية عن الدولة لتركها هؤلاء المسيحيين وشأنهم.

المسيحى فى الدولة فى عصور الاضطهاد

١ـ خطورة وضعه:

كان وضع الإنسان المسيحى فى الدولة الرومانية سواء كان حرا أم عبدا محفوفا بالمخاطر دائما ، كان من الصعب عليه مهما كان حذرا أن يفلت من أعدائه ، فنفس اتجاهاته ، وحذره كانت تجلب عليه الأضطهاد ، كان امتناعه عن بعض ممارسات الحياة كفيلا بكشف أمره ، وهكذا كان يقف ضد نفسه كل ساعة !!

٢- حياته اليومية تكشفه وتعرضه للخطر:
كانت الحياة اليومية نفسها تكشف المسيحى وتعلن عنه حتى لو كان غير مندمج فى المجتمع ، ومن أمثلتها الممارسات الوثنية السابقة لإيمانه وتوقفه عنها، كالأعياد الوثنية العديدة وامتناعه عن مشاركة مواطنيه فيها، فقد كان من عادة الوثنيين أن يدعو بعضهم البعض للتقدمات للآلهة ، وكان الوثنى المنتصر تصله باستمرار مثل هذه الدعوات ، لكنه كان مضطرا أن يرفضها بحسب ضميره المسيحى، ولم تقف الخطورة عند حد رفض المسيحى مشاركة أصدقائه القدامى من الوثنيين فى تقدماتهم... بل إن مجرد الكلام العادى المتبادل بين الناس كان مدموغا بالصيغ والأقسام الوثنية المتعلقة بالآلهة ، كان على المسيحى أن يظهر انفصاله عمن حوله فى كل الظروف حتى فى مجال الأحاديث العادية...، ومن هنا نشأت الأخطار المتلاحقة وكان سيف الموت مسلطا دائما على رقاب المسيحيين.

٣ ـ مشكلات الزواج المختلط :

ولم تكن العلاقات العائلية بمنأى عن الخطر ، فالمرأة المسيحية كانت تحتمل الكثير من زوجها إذا ما كان لايزال وثنيا،

إذ كيف يمكنها أن تؤدى واجباتها الدينية؟ كيف يمكنها فى العشية أن تذهب إلى إجتماع العبادة دون إثارة الشبهات؟ كيف يمكنها أن تظهر كرم الضيافة إلى الغرباء من الأخوة فى الايمان؟ كيف تزور الشهداء فى سجونهم؟ أضف إلى هذا أن الزوجة المسيحية تواقة إلى أن تسموا بالرابطة الزوجية وتطهرها بعد أن إنحط الزواج بواسطة المنكرات التى كان الوثنيون يأتونها. كانت طهارتها تضايق زوجها الوثنى وتهينه، وإذا أرادت الهرب من الفضيحة فعليها أن تستعد للموت.

٤ـ امتناعه عن بعض الحرف:

كان على المسيحى ألا يشتغل بكل فروع الحرف التى لها صلة بعبادة الأصنام مثل صناعة التماثيل الوثنية وبيع الضحايا والقرابين التى تقدم فى المعابد الوثنية... هذا بينماكانت هذه الصناعات هى التى تدر وقتئذ أرباحا أوفر من الحرف الأخرى .. ولم يكن هناك أى تردد فى الأمر، فالمهنة التى تتنافى مع المبادىء المسيحية كانت تترك فى الحال، وكان تركها المفاجىء يعرض صاحبها للمحاكمة العامة.

٥ ـ خطورة المناصب العامة:

وإذا كانت الحياة الخاصة لها اخطارها، كان ضربا من المستحيل بالنسبة للمسيحى، أن يشغل منصبا عاما، كأن يكون حاكما أو ضابطا فى الجيش، فقد كان عليه فى مثل هذه الوظائف أن يقسم أقساما وثنية معينة، وأن يقدم بخورا لصورة الإمبراطور، هذا فضلا عن الطقوس الدينية الكثيرة التى كانوا يمارسونها فى حالة الحرب وتعجل ببدنها وأثناء المعارك فى ساحة القتال استجلابا لرضى الألهة، وفى إحتفالات النصر شكرا لمؤازرته، وفى أثناء الحرب كانت الحياة المشتركة داخل الخيام تشكل مصاعب وخطورة بالنسبة للجندى المسيحى كان بتصرفاته يجذب كل الأنظار إليه، الأمر الذى ليس له معنى آخر سوى الموت، وعبثا كانت أمانته وشجاعته كجندى تشفع له وتنجيه من هذه الأخطار.

٦ ـ المسيحى وعبادة الإمبراطور:

أما عن العبادات التى تقدم للإمبراطور، فلم يكن للمسيحى أن يشترك فيها بأى حال من الأحوال، كان القيصر الرومانى

يطالب كل واحد من رعاياه أن يخضع له خضوعا تماما بالفعل والإرادة، وأية مقاومة كانت تعتبر عصيانا، ومجرد مناقشة ألوهية الإمبراطور وقداسة ذاته كانت أسوأ أنواع الكفر.

٧ـ المسيحية أبشع الجرائم!

كانت المسيحية في نظر الدولة والحكام هي الجريمة الكبرى التي لا يعفى منها... في نوفمبر سنة ٣٠٦ جاء القيصر مكسيمينوس إلى قيصرية ليحتفل بعيد ميلاده، ورأى أن يقدم للناس جديدا، ولم يكن ذلك الجديد سوى إلقاء إثنين من المجرمين للوحوش الجائعة كان أحدهما مسيحيا ويدا أغابيوس من فيرجينيا وقبض عليه في غزة والثاني فكان عبدا قد قتل سيده، وما كادا يقدمان للإمبراطور، حتى سارع إلى العفو عن المجرم وأطلقه، فامتلأ الملعب بأصوات الهتاف والاستحسان !! أما أغابيوس فبعد أن سار حول المدرج وسط سخرية النظارة، وسئل ما إذا كان يتخلى عن مسيحيته فيتمتع بحرية، غير أنه رفض مناديا الجمع بأعلى صوته بأنه يقدم لغير جريمة سوى إيمانه بالإله الواحد العظيم ولذا فهو يموت مبتهجا ثم ألقى لأنثى دب كبيرة مرتزقة لكنها لم تقض عليه،

فألقى فى اليوم التالى.

٨ـ المسيحي والدهماء:

نستطيع القول أنه، فى جميع الاضطهادات التى حلت بالمسيحيين، كان للدهماء دور قيادى، وكثيرا ما كانوا هم البادئين بالاضطهاد وليس الحكام، كانوا يصدرون أوامر استبدادية، ويحصلون على مايريدون من الحكام، إما لضعفهم وإما لأن ذلك كان يشبع شهوة الإنتقام من المسيحيين، ولذا لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا أن حكم الإمبراطور الرومانى كان هو حكم المستبدين والدهماء.

كان الدهماء فى بعض الأحيان يسيطرون على الموقف، فيمنعون المسيحيين من استخدام الأسواق والحمامات العامة، بل كان يحرمون عليهم الظهور فى أى مكان. كما حدث بالنسبة للمسيحيين فى ليون وفينا فى زمان اضطهاد مرقس أوريليوس، وكانوا أحيانا ما يقتحمون بيوت المسيحيين ويسطون عليها ويسلبونها فيأخذون نفائسها ويحطمون أو يحرقون أثاثاتها الثمينة كما حدث فى إضطهاد ديسيوس بالإسكندرية فى

زمان البابا ديونيسوس الإسكندرى.

وكثيرا ما كانوا يتعقبونهم إلى ساحات القضاء، ويتدخلون في سير التحقيق، وكانوا بمثابة الهيئة التنفيذية الوحيدة والعليا لإدانة المسيحيين.

كان لا يهدأ لهم بال حتى تصدر أحكام الموت ضدهم.. وحتى بعد الموت كانوا يظهرون تشفيا فى بقايا أجسادهم. وقد جاء فى قصة إستشهاد بوليكربوس أسقف أزمير:

«ما كاد القاضى يجلس على كرسيه حتى ضجت قاعة القضاء بصياح الغضب من الغوغاء وضد البرىء... وحدث أكثر من مرة أن الدهماء كانوا يرددون عبارة، ويصادق عليها الحاكم.. وبعد ذلك رفع الحاضرون أصواتهم بإتفاق واحد يطالبون بحرق بوليكربوس حيا، وصدر نفس الحكم بنفس الرغبة، ونفذ بمنتهى السرعة، وللحال شرعت الجماهير فى جمع أخشاب وحطب من الحوانيت والحمامات إلى الموضع المعين

وفى قصة شهداء ليون وفينا نقرأ عن تدخل الدهماء فى تعذيب وقتل هؤلاء المسيحيين فى كل مراحل تعذيبهم واستشهادهم وحتى بعد موتهم، أحرقوا جثثهم وألقوا رمادها فى نهر الرون، حتى يمحوا بذلك أى أثر لهم على الأرض.

حلقـــات
الاضطهاد العشر

إعتاد المؤرخون والكتاب المسيحيون من القرن الخامس الميلادى على تقدير الاضطهادات الأولى التى شنتها الوثنية على الكنيسة المسيحية بعشرة اضطهادات كبيرة تحت حكم الأباطرة:

١ـ نيرون
٢ـ دومتيان
٣ـ تراجان
٤ ـ مرقس أوديليوس
٥ ـ سبتميوس ساويرس

٦ـ مكسيمينوس

٧ـ ديسيوس

٨ـ فالريان

٩ـ أوريليان

١٠ـ ديوكلتيانوس (دقلديانوس)

لكن هذا التقسيم عرض اصطلح عليه وليس معناه أن الاضطهادات حدثت عشر مرات فقط فإنها لم تتوقف قط وكانت ما تكاد تتوقف فى جهة حتى تندلع نيرانها من جديد فى جهة أخرى، وحتى أكثر الفترات هدوءا كان لها شهداؤها الذين كتبوا بدمائهم تاريخ الكنيسة القبطية وكانوا أبذارا لنبتها حتى أيعنت برغم شدة تلك الاضطهادات وقسوتها. والآن نستعرض فى عجالة ما حدث فى الكنيسة فى عهد هؤلاء الأباطرة وخاصة نيرون وديوكلنيانوس.

نيرون وحريق روما واضطهاد المسيحيين

شخصية نيرون:

يعتبر الاضطهاد الذى أثاره نيرون على المسيحيين هو أول الاضطهادات الإمبراطورية ويبدأ هذا الاضطهاد سنة ٦٤م فى السنة العاشرة لحكمه وبأمره وتحريضه، على أن هذا الاضطهاد لم يكن اضطهادا دينيا خالصا كالاضطهادات التى أثارها الأباطرة الذين أتوا من بعد نيرون، لكنه بدا يضمن كارثة عامة إتهم بها المسيحيون الأبرياء.

كانت السنوات الخمس الأولى من حكم نيرون (٥٤ ـ ٥٩) فترة مجيدة بفضل القيادة الحكمية لعلمه سينكا SENECA لكن الفترة الباقية من حكمه حتى سنة ٦٨ كانت شنيعة، فإننا نقرأ عن حياته بمشاعر تمتزج فيها السخرية من جنونه والفزع من شره! كان العالم بالنسبة له رواية هزلية، ومأساة

يقوم هو فيها بدور الممثل الأول. كان ذا شهوة جنونية لتهليل الجماهير ، كان يضرب على القيثارة وينشد أغانيه وقت العشاء ، ويقود عرباته بنفسه فى السيرك ، كان يظهر فوق المسرح كممثل ، وكان يرغم رجالا من ذوى المراتب العالية فى الدولة أن يمثلوا فى تمثيليات الدراما أو فى أقبح وأقذر تمثيليات الخرافات والأساطير الإغريقية وأكثرها فحشا .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن المآسى الواقعية أعقبت المآسى التمثيلية فأخذت جرائمه تتراكم الواحدة فوق الأخرى حتى أصبح مضرب الأمثال فى الشر ، فقد قتل أخاه بريتانيكوس BRITANNICUS وأمه أجريبينا وزوجته أوكتافيا وبوبايا وأستاذه ومعلمه سيكا وعديدا من الشخصيات الرومانية البارزة ، وأخيرا ختم هذه المأساة الطويلة بانتحاره وهو فى سن الثانية والثلاثين من عمره ، وبموته انقرضت أسرة يوليوس قيصر ، وغدت الإمبراطورية مغنما للقادة العسكريين أو المغامرين الناجحين .

ومن ثم فقد كان قتل مجهرة المسيحيين الأبرياء بيد هذا الشيطان المتأنس نوعا من الرياضة الممتعة بالنسبة له أما بالنسبة للتاريخ فقد كان حريق روما هو المشهد الجهنمى الذى لم يشهد له البشر مثيلا !!!

حـــريـــق رومـــا

بدأ الحريق ليلا فى ليلة ١٨ / ١٩ يولية سنة ٦٤ فى الأكشاك الخشبية فى الطرف الجنوبى الشرقى للسيرك الكبير، قرب تل بلاتين، وسرعان ما هدأت ألسنة النيران بواسطه الريح، وظلت تلتهم كل ما يصادفها فى طريقها لمدة ستة أيام وسبع ليال أن فشل الجنود ورجال الإطفاء فى اخمادها أو حصرها .. ثم ما لبثت أن إشتعلت ثانية فى جزء ثان من المدينة قرب ساحة مارس MARS، وفى خلال ثلاثة أيام أخرى دمرت قسمين آخرين من المدينة لكانت الكارثة فادحة ولا تقدر قميتها، إذ لم يسلم من الحريق المدمر سوى أربعة أقسام من الأربعة عشر قسما التى كانت تنقسم إليها المدينة العظيمة، وأتى الحريق على كثير من الأبنية والآثار والمعابد التى ترجع إلى عصور الملكية والجمهورية والإمبراطورية، وتحولت أثمن آثار الفن الإغريقى التى ظلت تجمع لعدة قرون من الزمان إلى تراب ورماد ، كما التهمت ألسنة النيران كثيرا من الناس والبهائم ، وهكذا تحولت المدينة الأولى فى العالم إلى جبانة عظيمة تضم مليونا من النائحين ينوحون على الخسارات التى لا تعوض.

أما أسباب هذا الحريق الجبار فلم يعط التاريخ فيها حكما قاطعا، لكن كل الشائعات التى ترددت والشهادات وكتابات المؤرخين القدامى تشير بأصابعها إلى نيرون على أنه الفاعل، وأنه أراد أن يستمتع بمنظر طراودة أخرى تحترق، ويشبع طموحه وجنونه فى إعادة بناء روما على نسق أفخم ويدعوها نيروبوليس أى مدينة نيرون، وحينما إندلعت ألسنة النيران كان هو على شاطىء البحر فى أنتيوم مسقط رأسه، ولم يعد إلا بعد أن إمتدت النيران إلى قصره الخاص.

وحتى يبعد الشبهة عن نفسه فى جريمة الحريق، وفى الوقت نفسه يستمتع بقسوة وشيطانية جديدة، ألصق التهمة بالمسيحيين بلاريب الذين الآلهة الرومانية، واتهموا زورا بارتكاب جرائم سرية (تتضاف إلى هذه التهمة، فإذا ما أفلتوا من الأولى وقعوا فى الثانية)

كانت الشرطة والناس تحت سيطرة الفزع الناشىء من الكارثة المروعة على إستعداد لأن يصدقوا أثر الإفتراءات، ومن ثم طالبوا بالضحايا، وماذا كان يمكن أن ننتظر من الجموع الجاهلة إذا كان بعض المثقفين من أمثال تاسيتوس وسيوتونيوس وبلينى قد وصموا المسيحية بالعار كخرافة مفسدة ودنيئة، لقد نظروا إليها على أنها أشر من اليهودية.

ويقول تاسيوس المؤرخ المعاصر بعد أن ذكر خبر القبض على بعض المسيحيين واعترافهم بإيمانهم ولم يستذنبوا كثيرا بتهمة الحريق بقدر إستذنابهم بتهمة كراهية الجنس البشرى.

وموضوع اتهام المسيحيين الأبرياء بحرق روما يعيد إلى أذهاننا حدثا مماثلا حدث فى روما أيضا، لكن قبل حريقها بسنين طويلة، واتهم فيه قوم أبرياء، ليس لثبوت التهمة ضدهم، بل لمجرد إعتبارهم اعداء على نحو ما فعل بالمسيحيين . كاد معبد فستا بروما أن يحترق يوما بإندلاع نار نشبت فى المنازل المجاورة، فروعت روما إذ شعرت أن مستقبلها فى خطر، فلما انقضى ذلك ،حث مجلس الشيوخ ،القنصل على البحث عن مدبرى حادث الحريق وسرعان ما إتهم القنصل بعض أهالى كابوا الذين كانوا وقتئذ فى روما ، لا لأنه كان لديه أى دليل على إدانتهم، بل لأنه قدر التقدير الآتى (هدد حريق روما.. معبدنا ، وليس من الممكن أن يوقد هكذا الحريق الذى كاد يؤدى إلى تحطيم عظمتنا ووقف (عرقلة)مصائرنا ، إلا بعد أشد أعدائنا قسوة، وحيث إنه ليس لنا أعداء ألد من أهالى كابوا تلك المدينة التى هى فى الوقت الحاضر حليفة هانيبال عدونا الأول، والتى تتطلع إلى أن تكون فى مكاننا عاصمة

لايطاليا إذن فهؤلاء الناس هم الذين أرادوا أن يقضوا على معبد فستا.

ويبدو أن هذه هى الطريقة التى ألفها ودرج عليها حكام روما!!!!

مشاهد الوحشية فى تعذيب المسيحيين

ترتب على تهمة الحريق مؤيأ بتهمة كراهية الجنس البشرى بدء كرنفال من الدماء لم تشهد له روما الوثنية مثيلا ، حتى إن البعض قالوا إن ما حدث كان إجابة (ردا من) قوات الجحيم لحركة التبشير المثمرة والتى زعزعت أعماق الوثنية فى أهم معاقلها.

وقد حكم بالموت على أعداد ضخمة من المسيحيين بأبشع الوسائل مثل الصلب، وبلف بعض النصارى فى جلود الحيوانات الضارية والقائهم للكلاب المسعورة فى مسرح الألعاب الرياضية، وبلغت المأساة الشيطانية ذروتها ليلا فى الحدائق الإمبراطورية عندما أشعلت النار فى المسيحيين والمسيحيات بعد أن دهنوا

بالقار أو الزيت أو الراتيخ (صمغ الصنوبر) وسمروا فى أعمدة الصنوبر، فكانوا بتلك الصورة المهينة يضيئون كالمشاعل لتسلية الجماهير، بينما شوهد نيرون فى ثياب غريبة الشكل مرسوا عليها جواد سباق متباهيا بنفسه فى عربته.

من نيرون إلى ديوكلتيانوس

٢- دوميتان (٨١-٩٦)

طاغية، مرتاب، متكبر، كان يدعو ذاته ربا والها أعتبر اعتاق المسيحية جريمة ضد الدولة، حكم على كثيرين بالموت وكان من بينهم أقرباؤه، القنصل فلافيوس كليمنس كما نفى البعض الآخر وصادر ممتلكاته كما حدث مع دوميتلا زوجة كليمنس.

٣- تراجان (٩٨-١١٧)

ترجع أهمية تراجان بالنسبة لموضوعنا إلى أنه:

١- أول إمبراطور يعلن أن المسيحية ديانة محرمة!

أحيا التشريعات الصارمة لجميع الجماعات السرية وقد إعتبرت إجتماعات المسيحيين الدينية من هذا النوع.

وقد ظلت الدولة تسير فى تعاملها مع رعاياها المسيحيين على هدى هذه القوانين التى إستند تراجان إليها ولأكثر من قرن من الزمان.

وتظهر روحه العدائية تجاه المسيحيين من رسالة له ردا على رسالة أرسلها له بلينى حاكم ولاية بيثينية بآسيا الصغرى بين سنتى (١٠٩ - ١١١) حيث كان بلينى هذا يرى المسيحية خرافة دنيئة متطرفة !، وبالجهد يتحدث عن إقبال الجماهير عليها ولقد أرسل للإمبراطور تراجان يخبره بأن هذه الخرافة تزداد إنتشاراً بإستمرار ليس فقط فى آسيا الصغرى بل حتى فى قراها أيضا وأنه أصبح لها سلطان على الناس من كل سن ومركز وجنس حتى إن المعابد الوثنية قد هجرت، وكسدت تجارة الأشياء التى تقدم قرابين وتقدمات للآلهة، ولكى يضع حدا لإنتشارها المضطرد، فقد حكم على كثيرين من المسيحيين بالموت وأرسل بعضا ممن كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية إلى المحكمة الإمبراطورية بروما لكنه سأل الإمبراطور مزيدا من التعليمات بخصوص طريقة معاملة المسيحيين وهل يراعى كبار السن ابينما كان يعتبر مجرد حمل رسم مسيحى جريمة.

وقد أجاب تراجان على هذه الاستفسارات برسالة جاء فيها

لقد سلكت ياصديقى الطريق السوى فيما يختص بالمسيحيين إذ لا يمكن وضع قاعدة عامة تطبق على كل الحالات فى هذا الصدد، لا ينبغى السعى فى طلبهم، لكن إذا إشتكى أحد عليهم(ضدهم)، ووجدوا مذنبين (ثبتت التهمة متهمين)فلا بد من معاقبتهم، ومع ذلك فإذا أنكر احد أنه مسيحى وبرهن على ذلك عمليا بالتضحية لألهتنا فليصفح عنه بناءا على توبته.

وبناء على قرار الدولة هذا قد تعرض المسيحيون لإضطهادات عنيفة، وقد أصاب سوريا وفلسطين ومصر على وجه الخصوص الكثير منها، فلقد وجه اليهود المتعصبون إتهاما لسمعان أسقف أورشليم، وحكم عليه بالموت صلبا سنة ١٠٧ وهو فى سن المائة والعشرين وفى نفس هذه السنة تقريبا حكم على القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية بالموت، وأرسل إلى روما وألقي للوحوش الضارية.

٤- مرقس أوريليوس(١٦١ - ١٨٠)

وكان هذا الإمبراطور كفيلسوف على العرش إذ كان مثقفا ثقافة عالية، ولكن هذه الثقافة العالية لم تستطع أن تحوله عن كراهيته للمسيحيين والمسيحية إذ كان ينظر إليها كخرافة

سخيفة متعصبة . وعلى الرغم من أن المدافعين المسيحيين من أمثال ميليتو وملتياوس وأثيناغورس ، أغرقوه بسيل من دفاعاتهم عن المسيحيين المضطهدين، وعن المسيحية ذاتها محاولين أن يردوا الإتهامات بها، على الرغم من كل ذلك، فإنه لم يعط أذنا صاغية لدفاعهم بل يبدو أنه لم يكلف نفسه حتى مشقة قراءتها أو حتى مجرد النظر إليها.

وقد آمن مرقس أوريليوس بالفلسفة الرواقية، وكان هو فيلسوفا ، لكن فلسفته كانت مغايرة لفلسفة المسيحية ، وعلى الرغم من أن الفلسفة الرواقية علمت الناس تحمل الألم والموت دون خوف ، لكنه كان يأخذ على المسيحيين الهدوء الذي يلقون به الموت، ويفرق بينه وبين الشجاعة الحقة التي تعلم بها الفلسفة الرواقية ، فهو يرى أن تلك شجاعة معقولة كريمة، أما شجاعة المسيحيين فهي شجاعة متكلفة تمثيلية!.

أضف إلى هذا اعتباره العقيدة المسيحية بخلود النفس بما يترتب عليها من نتائج أدبية أمرا يهدد رفاهية الدولة فأصدر مرسوما يهدد فيه بالنفي لكل من يحاول تعليم الناس الخوف من الله!، وكان هذا القانون موجها دون شك إلى المسيحيين.

كان عهده حقبة عاصفة عنيفة في تاريخ المسيحية ويرجع سبب ذلك إلي أن الكثير من أقاليم الامبراطورية قد تعرضت

في تلك الفترة إلى عدد من كوارث الطبيعة ، فيضان مدمر لنهر النيبر، زلزال، ووباء الطاعون الذي إنتشر من أثيوبيا إلى غاليا (فرنسا حاليا)

وكانت النتيجة أن إتحدت الحكومة مع الشعب ضد المسيحيين أعداء الألهة الذين بسببهم على زعمهم قد حدثت تلك الكوارث وشنوا إضطهادات دامية ضدهم حتى إن الفيلسوف الوثنى كلسوس الذى هاجم المسيحية بعنف فى كتاب قد فنده ورد عليه فيما بعد الفيلسوف المسيحى أوريجينوس أقد أعطاك فرصة بهذا الإضطهاد لأن الشيطان المسيحيين فى نظره أبعد البر والبحر...!

وعلى أي الحالات فإن كل هذه الأحداث إنما تشير إلى أن الديانة الجديدة الصاعدة كانت تحوز إهتماما متزايدا ومستمرا فى كل أنحاء الإمبراطورية.

وتحت حكم هذا الإمبراطور ، وفى سنة ١٧٧ تعرضت كنائس ليون وفينا بجنوبى فرنسا لتجربة شديدة ، لقد أجبر العبيد الوثنيون على إتهام سادتهم المسيحيين بإرتكاب رذائل قبيحة كانت محرمة فى الدولة بموجب قوانين ، وكان القصد من ذلك تبرير العذابات الأليمة التى إستهدف لها المسيحيون، لكن أولئك المسيحيين أظهروا إيمانا عجيبا وثباتا مذهلا.

ومن مشاهير ضحايا هذا الاضطهاد الذى حدث فى غاليا (فرنسا) الأسقف بوثينوس ، وكان فى سن التسعين ، والعذراء بلنديـنا هى أمه (عبده) ، وأظهرت قوة احتمال تفوق قدرة البشـر ، وأخـيرا ألقيت لوحش ضار افترسها ، والصبى بونتيكوس الذى احتمل قساوة ووحشية ولم يتجاوز عمره خمس عشرة سنة، أما جثث الضحايا فهى التى ملأت الطرقات فى نهر الرون حتى لا تتنجس الأرض من بقايا أعداء الآلهة!

ومن أشهر من إستشهدوا تحت حكم هذا الإمبراطور، فهو الفيلسوف والمدافع المسيحى يوستينوس الذى استشهد فى روما بين سنتى ١٦٥ ـ ١٦٦ وسنعود للكلام عنه،

٥ـ سبتميوس ساويرس (١٩٢ ـ ٢١١)

لم يكن نظير مرقس أو ريليوس يضمر مقتا للمسيحيين لأسباب فكرية ، بل كان بلاطه يضم بعض المسيحيين ، ومنهم طبيبه الخاص بروكولس الذى تزوج من جوليا دومنا إبنة كبير كهنة أفسى الوثنى، فكان ذلك سببا فى عرض الديانات الشرقية على الامبراطور بصورة أكبر .. لكن على الرغم من كل ذلك فقد أثيرت اضطهادات إقليمية كثيرة فى أواخر القرن الثانى وقد أشار إلى ذلك إكليمنضس الإسكندرى بقوله.. كثير

من الشهداء يحرقون يوميا أو يعدمون على مشهد منا.

وفى سنة ٢٠٢ أصدر مرسوما يقضى بمنع المسيحيين بتبشير غيرهم، وبسبب هذا المرسوم، حلت أشد الاضطهادات بالمؤمنين فى مصر وشمالى أفريقيا.

٦- مكسمينوس التراقى (٢٣٥ - ٢٣٨)

إضطهد جماعة المسيحيين منذ بادىء عهده، وقيل فى القليل، إنه فعل ذلك لالشىء (٢٢٢ - ٢٣٥) الذى قيل إنه كان متسامحا مع المسيحيين حتى إنه وضع صورة المسيح فى قصره مع صورة الآلهة المحببة وكبار أباطرة الرومان، واتخذ لنفسه شعارا، كلمات المسيح كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضا بهم ونقشها على حوائط قصره وعلى التماثيل العامة!

وفى اضطهاده للمسيحيين مكن الشعب من إظهار غضبه نحو أعداء الآلهة، وقد ساعد على ذلك حدوث بعض الزلازل فاتخذ إجراءا عنيفا ضد رجال الدين المسيحى، ولكن لا يمكن الجزم هل كانت أوامره تقضى بقتلهم جميعا أم أن القتل كان قاصرا على الأساقفة! وعلى أي الحالات فقد كان هذا الإمبراطور فى معاملته للمسيحيين بربريا قاسيا.

٧ـ ديسيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١)

كان إمبراطورا نشيطا، استيقظت فى شخصه ثانية الروح الرومانية القديمة، فصمم على استئصال شأفة المسيحية كعقيدة دينية مستحدثة، وقد أصدر مرسوما سنة ٢٥٠ وجهه لجميع حكام الأقاليم فى أنحاء الإمبراطورية يحتم عليهم فيه ضرورة إعادة ديانة الدولة الوثنية مهما كلفهم الأمر، وكان هذا المرسوم نذيرا بالاضطهاد الكبير العام الذي فاق فى وحشيته كل ما سبق.

ووجه الأهمية فى مرسوم ديسيوس هذا، هو أن ما قد ترتب عليه من اضطهاد يعتبر بحق أول اضطهاد شامل عم كل أقاليم الإمبراطورية بعد أن كان الاضطهاد محليا متقطعا.

وفى سبيل تنفيذ هذا المرسوم استخدم حكام الأقاليم كل ألوان العسف والاضطهاد والقسوة لحمل المسيحيين على الارتداد عن دينهم، وكان من نتيجة ذلك أن ضعف كثير من المسيحيين، فالبعض ضحى للأوثان، والبعض تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الحصول على شهادات مزورة من الأحكام تفيد ما يثبت إنهم فعلوا ذلك، وقد حصلوا على هذه الشهادات المزورة إما بواسطة المال أو بواسطة أصدقاء وثنيين.. هذا وقد اندفع الألاف من المسيحيين فى غيرة عجيبة وشجاعة نادرة مذهلة،

إما للسجون أو لنيل الشهادة.

وقد عثر في الفيوم سنة ١٨٩٣ على إحدى هذه الشهادات وصورتها كالآتي:

« إلى مأموري الذبائح في قرية جزيرة اسكندر من أوريليوس ديوجينس بن سنايوس من قرية جزيرة اسكندر. سن ٧٢ بندبة على حاجبيه الأيمن ... لقد كنت أضحي دائما للآلهة، وفعلت ذلك الآن في حضوركم طبقا للنص المرسوم لقد قمت بالتضحية وسكبت السكائب، وذقت الذبائح، والتمس أن تشهدوا بذلك والسلام مقدمه أوريليوس ديوجينس....

تحريرا في اليوم الثاني من أبيب (٢٦ يونيه سنة ٢٥٠) في السنة الأولى للإمبراطور ديسيوس، لقد كتب المعترفون في روما من سجنهم إلى إخوتهم في أفريقيا إبان هذا الاضطهاد يقولون: « ماذا يمكن أن يكون أكثر مجداً؟!.

هل يمكن أن تهب نعمة الله للإنسان نصيبا أكثر مجدا وبركة من أن يعترف بالرب الإله وسط العذابات.

كانت السلطات أكثر قسوة علي وجه الخصوص مع رؤساء الكنائس وخدامها، ومن بين الذين استشهدوا إبان هذا الاضطهاد القديس مرقوريوس المعروف بأبي سيفين.

٨ـ فالريان (٢٥٣ ـ ٢٦٠)

بدأ حكمه لطيفا متسامحا مع المسيحيين، بل كان كثيرون منهم في قصره، لكن سرعان ما قلب لهم ظهر المجن سنة ٢٥٧ وكنتيجة لمعرفته أن العنف والبطش وسفك الدماء عوامل لا تفلح في إيقاف تيار المسيحية، فقد حاول تجربة سلاح جديد بنفي خدامها ومصادرة أملاكهم، وتحريم الاجتماعات الدينية، وأن يحال بين المسيحيين وزيادة المقادير، وإذا أثبتت هذه الإجراءات الجديدة عدم جدواها جدد عقوبة الموت على المسيحيين، فأرسل إلى مجلس الشيوخ الروماني أمرا يقضي بأن رجال الإكليروس (أساقفة وقساوسة وشمامسة) ينبغي أن يعدموا فورا ويجرد المسيحيون من أعضاء الشيوخ والرجال البارزين والفرسان الرومان من ألقابهم وممتلكاتهم، فإذا أصروا على مسيحيتهم بعد ذلك تبتر رؤوسهم، أما النساء المتزوجات فيجردن من ممتلكاتهن وينفين، وأم صغار المواطنين ممن يعترفون بمسيحيتهم فمصيرهم أن يقيدوا بالسلاسل ويرسلوا للعمل في ضياع الإمبراطور.

ومن أشهر الشهداء شهداء ذلك العهد، سكستوس الثاني أسقف روما وكبريانوس أسقف قرطاجنة.

وقد وقع فالريان أسيرا في يد الفرس أثناء حربه معهم ومات في أسره، وخلفه ابنه جاللينوس وكان شريكا معه في

الحكم، ومما ينسب إلى جاللينوس أنه أظهر تسامحا مع المسيحيين وأصدر منشورا بذلك واعتبر المسيحية ديانة مصرحا بها.

٩ـ أوريليان (٢٧٠ ـ ٢٧٥)

نشط فى اضطهاد المسيحيين والتنكيل بهم، فأصدر مرسوما جديدا يأمر بقتل المسيحيين كان من أثره مذابح مروعة فى أماكن شتى ..وقد خلف أوريليان على العرش الإمبراطورى ستة أباطرة فى فترة الثمانى السنوات التى إنتهت بإعتلاء ديوكلتيانوس العرش وتميزت هذه الفترة بالهدوء النسبى ورفع نير الاضطهاد على المسيحيين الأمر الذى أدى إلى إنتعاش الكنيسة.

لكن قابل هذا من الناحية الأخرى ظهور المشاكل الكنسية وتزايدها.

إضطهاد ديوكلتيانوس وأعاونه (٢٨٤ـ ٣٠٥)

إن الاضطهادات السابقة التى شنتها الدولة الرومانية على المسيحية والمسيحيين إبتداء من نيرون لتتضاءل إزاء ضراوة

ووحشية سلسلة الإضطهادات التى بدأها ديوكلتيانوس وأكملها أعوانه. ولفظاعة هذا الإضطهاد فقد إتخذت الكنيسة القبطية بداية حكم هذا الطاغية وهى سنة ٢٨٤م بداية لتقويمها المعروف باسم تاريخ الشهداء.

أما عن ديوكلتيانوس نفسه فقد قيل إن أباه كان عبدا، أو فى القليل كان ينتسب إلى أبوين مغمورين وكان موطنه إقليم دالماثيا بالبلقان إستطاع بجده وذكائه أن يرتقى حتى حصل على المركز الاول والاعلى في الدولة.. ويعتبر ديوكلتيانوس من الناحية السياسية والإدارية من أكفأ الأباطرة الذين حكموا الإمبراطورية.

وقد وضع من التنظيمات والتشريعات ما يكفل بقاءها بعد أن زحفت الشيخوخة إليها وتعرضت لهجمات كثير من القبائل المتبربرة.

وفى سنة ٣٠٥ إعتزل الحكم بعد أن إعتلت صحته إعتلالا كبيرا وأصيب بلوثة عقلية.

أعـــوانـــه:

من هذه التنظيمات التى وضعها ديوكلتيانوس، وإستهدف

بها إنقاذ الإمبراطورية تعيين مكسيميانوس وهو قائد محنك معاونا له في الغرب برتبة قيصر سنة ٢٨٥، ثم رقاه إلى رتبة أغسطس سنة ٢٨٦ وهي نفس رتبة ديوكلتيانوس بحكومة الشرق ومكسيميانوس هذا هو المعروف باسم مكسيميانوس هيركيوليس ، ثم عاد ديوكلتيانوس ورأى أن يعين مساعدا له واخر لمكسيميانوس برتبة قيصر لتدعيم حكم الإمبراطورية المترامية الأطراف فعين معه جالريوس للشرق ، وقسطنطيوس للغرب ، وكان ذلك سنة ٢٩٢م واختص كل من هؤلاء الأربعة بحكم الأقاليم الآتية من الإمبراطورية:

مكسيميانوس هيركيوليس بحكم إيطاليا وأفريقيا ، وقسطنطينيوس كلوروس (هو والده الملك قسطنطين الكبير) لحكم غاليا (فرنسا حاليا) وأسبانيا وبريطانيا.

هذا في الغرب ، أما في الشرق فحكم ديوكلتيانوس آسيا ومصر وتراقيا وجعل مقره نيقوميدية بآسيا الصغرى بينما حكم معاونه جالريوس بادىء الأمر شواطىء الدانوب، ثم بعد ذلك الشرق.

شخصيته:

أما عن شخصيته، فقد كان يطالب لنفسه بإحترام العبادة كالكاهن الأعظم للآلهة جوبتر وكان يدعو نفسه رب وسيد العالم.

وقد أحاط هذا الإمبراطور ملكه بالكثير من دوائر الجنود ولم يكن يسمح لأحد أن يقترب منه إلا وهو راكع ولامس الأرض بجبهته، بينما يكون هو جالسا على عرش فى ثياب فاخرة أحضرت له خصيصا من الشرق الأقصى.

لكنه على الرغم من كفاءته فى الحرب والإدارة كان واقعا تحت سيطرة الخرافات ويستشير أصحاب العرافة وكهنة أوثان قبل البدء فى مشروعاته.

وقد بدأ عهده بإصدار عدة تشريعات لإصلاح الدولة والابقاء على هيبتها وآجل المسألة الدينية حتى يفرغ من المسائل السياسية والإدارية ويطمئن من جهتها.

المسيحيون فى أول عهده:

بدأ ديوكلتانوس عهده مسالما للمسيحيين، وظل هكذا فى

العشرين سنة الأولى لحكمه يحترم منشور التسامح الذى أصدره سلفا جاللينوس وقد كان معظم خدامه وضباط قصره من المسيحيين ، إلى جانب عدد من الإداريين فى الدولة ، بل أكثر من هذا فقد قيل إن زوجته بريسكا وابنته فالريا كانتا مسيحيتين ، وقيل إنهما كانتا فى صفوف الموعظين أو (الواعظين) على الأقل تعطفان على المسيحيين.

أسباب تحوله عن سياسة التسامح:

أما عن أسباب تحوله عن سياسة التسامح الدينى مع المسيحيين من رعاياه، والتى إنتهجها فى العشرين سنة الأولى لحكمه فلا يمكن تحديدها، فقد قيل إنه قصد المعبد ذات مرة ليستشير الآلهة فى أمر هام كما كانت عادته، واصطحب معه رجال البلاط وبينهم مسيحيون ، فإنتهز الكاهن الوثنى فى المعبد هذه الفرصة وقال للإمبراطور إن الآلهة لا تتكلم فى حضرة أعدائها وكان يقصد المسيحيين ، وبتأثير هذه الكلمات طرد الإمبراطور جميع الذين لا يرفعون قرابين للآلهة فى بلاطه الإمبراطورى ومن الجيش.

ويكاد يكون هناك شبه إجماع إستنادا لرواية لكتانتيوس

معاصرة أن ديوكلتيانوس غير سياسته نحو المسيحيين تحت تأثير جالريوس معاونه وزوج إبنته فالريا ، الذى كان وثنيا متعصبا شرسا ، ويصفه لكتانتيوس بأنه وحش مفترس قد لبسته بربرية وحشية غريبة عن الدم الرومانى ، وكان يستحث صهره ديوكلتيانوس بضرورة سحق المسيحيين لأنهم يشكلون دولة داخل دولة.

اضطهاد يوكلتيانوس وأعوانه:

أصدر ديوكلتيانوس بالإتفاق مع معاونيه وتحت تأثير جالريوس فى الثالث والعشرين من فبراير ٣٠٢ منشورا يقضى بهدم الكنائس ، وحرق الكتب المقدسة ، وطرد جميع ذوى المناصب الرفيعة وحرمانهم من الحقوق المدنية ، وحرمان العبيد من الحرية إن هم أصروا على الاعتراف بالمسيحية ، ونص المنشور على معاقبة من يخالف ذلك دون تحديد العقوبة.

وبدأ تنفيذ هذا المنشور فى الحال فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٢م فهدمت كنيسة نيقوديمية الجميلة التى كانت مبنية على تل فى مواجهة القصر الإمبراطورى.

وعلق المنشور على حوائط قصر ديوكلتيانوس نفسه،

فتقدم مسيحى أخذته الغيرة ومزق المنشور مظهرا بذلك إستياءه.

فكان جزاؤه الموت حرقا بكل وحشية... وفى نفس الوقت قوى هذا التصرف مشاعر ديوكلتيانوس العدائية نحو المسيحيين... وسرعان ما سرت موجات الاضطهاد إلى كل أقاليم الإمبراطورية.

لكن سرعان مازاد الإضطهاد عنفا ووحشية بسبب الحريق الذى إندلع مرتين فى ظرف أسبوعين فى قصر ديوكلتيانوس فى نيقوميدية حيث كان يقيم ، بعد صدور منشور الإضطهاد بوقت قصير، وللحال أتهم جاليريوس موظفى القصر وخدمة المسيحيين بتدبير هذا الحريق، ومحاولة حرقه هو وصهره ديوكلتيانوس وهم أحياء.

ونسب لكتانتيوس المعاصر حريق القصر إلى جاليريوس، الذى إفتعل الحريق مرتين لإثارة ديوكلتيانوس ضد المسيحيين الأبرياء... أما الملك قسطنطين الذى أقام بنفس هذا القصر بعد ذلك بمدة، فقد نسب الحريق للإضاءة، لكن تكرار الحريق يبرر ما ذهب إليه لكتانتيوس.

والعجيب أن الحريق كان هو السبب فى إضطهاد نيرون وديوكلتيانوس الإضطهاد الأول والأخير وفى كلا الاضطهادين

كان الضحايا هم المسيحيين الأبرياء، وكان نتيجة الحريق المزيد من الإضطهادات والمزيد من الوحشية.

وقد أصدر ديوكلتيانوس منشورين متلاحقين فى مارس سنة ٣٠٢ يقضى أولهما بسجن جميع رؤساء الكنائس، ويقضى ثانيهما بتعذيبهم بقصد إرغامهم على جحد الإيمان.

وفى ٣٠ أبريل سنة ٣٠٣ أصدر مكسيميانوس هيركوليوس المنشور الرابع وهو أسواها ويقضى بإرغام جميع المسيحيين بلا إستثناء فى المدن والقرى، فى الإمبراطورية أن يضحوا للآلهة، وإلا عوقبوا بأشد أنواع العقاب.

أما القصد من هذه المنشورات فكان هومحو المسيحية من الوجود.

وأخيراوفى محاولة يائسة لمحو المسيحية وبعث الوثنية، أصدر مكسيمينوس دارا منشورا خامسا فى خريف سنة ٣٠٨ يقضى بسرعة إعادة بناء مذابح الأوثان، وأن يقدم جميع الرجال والنساء والأولاد، وحتى الأطفال الرضع الذبائح والسكائب، مع إكراههم على تذوق التقدمات، وتدنيس الأطعمة التى تباع فى السوق بسكائب الذبائح، وأن يقف الحراس أمام الحمامات ليدنسوا بالذبائح الوثنية كل من يدخل للإغتسال فيها.

وقد استمر هذا المنشور معمولا به لمدة سنتين أو أكثر، ولم يكن أمام المسيحيين إلا إحد ثلاث، أن يموتوا شهداء، أو يموتوا جوعا. أو يجحدوا الإيمان.

وفى سنة ٣١١ أمر مكسيمينوس دازا بإقامة الهياكل فى كل مدينة وسرعة إعادة الأحراش المقدسة التى كانت قد أزيلت على مر الزمن وعين كهنة للأصنام، وأقام عليهم فى كل مقاطعة موظفا سياسيا كرئيس كهنة، ومنح جميع المشعوذين وظائف إدارية، وخلع عليهم أعظم الإمتيازات.

على أنه يجب ملاحظة أن نصيب ديوكلتيانوس فى الاضطهاد الأخير الكبير الذى لم يزد عن سنتين وشهرين ٣٠٢ - ٣٠٥). لكن الاضطهاد إستمر بعد ذلك حتى سنة ٣١٣ فى الشرق على يد جالريوس ومكسيمينوس وكان أقسى هذه الفترات هى من (٣٠٨ - ٣١١) بل قيل إن هذا الاضطهاد هو أفظع اضطهاد شهده المسيحيون منذ البداية فى الدولة كلها، وكثيرون من الشهداء الذين استشهدوا فى الشرق وقد نسب استشهادهم لعهد ديوكلتيانوس استشهدوا فى هذه الفترة (٣٠٨ - ٣١١).

وكان المحرك الأكبر للاضطهادات فى الشرق أعنف منها فى الغرب بسبب جالريوس وابن أخيه مسكيمينيوس دازا، أما فى الغرب فكان هناك قسطنطينوس كلوروس الذى كان يعطف

على المسيحيين وخلفه إبنه قسطنطين بنفس المشاعر وكان الاضطهاد غالبا فى أقاليم الإمبراطورية التى كانت تحت حكم مكسنتيوس الذى مات سنة ٣١٢ وقد أشار أكتانتيوس إليه كآخر أعداء المسيحيين فى الإمبراطورية.

أنواع العذابات التى إحتملها الشهداء "لاحق لك فى أن توجد.."

هذه هى العبارة التى كان يوجهها الوثنى للمسيحى إبان الاضطهادات التى كانت تجتاح أقاليم الدولة الرومانية كلما ثارت ثائرتها لأى سبب من الأسباب، وهى تعبر تعبيرا أمينا عن مشاعر البغضة(البغض)والمقت والعداوة التى كانت تعتمل فى نفوس الوثنيين نحو المسيحيين والتى أفضت إلى صنوف من العذاب والأهوال قاساها المسيحيون فى احتمال مذهل، ولا شىء غير الموت كان يضع حدا لآلامهم.

ولا يحسبن أحد أن الاستشهاد كان فى متناول كل من كان يريده ويشتهيه فقد كان الموت يوافى المعترف فى ختام المطاف، بعد سلسلة طويلة من الوان الاضطهاد الأدبى والتعذيب الجسدى.

والواقع أننا لا نستطيع أن نصف أو نحصى أنواع وسائل العذابات التى تعرض لها الشهداء والمعترفون ـــ والميتات التى ختموا بها حياتهم البطولية على مدى ثلاثة قرون من الزمان تقريبا فمجرد ذكرهاكان يسبب رعبا للإنسان ومن شدة هولها يكاد الإنسان ألا يصدقها لولا أنها وصلت إلينا عن طريق أناس موثوق بهم قدرأوها بأعينهم.

وبعض هؤلاء، شهداء مروا ببعض هذه العذابات، أو معترفون قد شربوا كأسها.

لقد استخدم الأباطرة والولاة والحكام والقضاة الوثنيون كل وسائل الإغراء والتهديد والتعذيب والإماتة لإرهاب المسيحيين، وتحطيم روحهم المعنوية، وتفننوا كيف يخضعونهم، فاستحدثوا وسائل التعذيب، ولجأوا إلى طرق لم تكن متبعة للتنكيل بهم تتنافى مع الآداب العامة المعروفة بين البشر، فضلا عن قوانين الدولة نفسها التى بموجبها كان يحاكم المجرمون المتهمون بشتى الجرائم.

أما قانون عقوبات الدولة فكان ينص على الآتى:

١ ـ حرق الإنسان حيا:

وهو أكثر الميتات رعبا، وكان يعاقب بهذه العقوبة الهاربون

من الخدمة العسكرية أو العبيد الذين قتلوا سادتهم.

٢ - الصلب:

وكان يعاقب به قطاع الطرق.

٣ - الإلقاء للوحوش:

وكان من يحكم عليهم بهذه العقوبة يفقدون إمتيازهم وحريتهم مع صدور هذا الحكم ويجب التحفظ عليهم للتعذيب حتى يدلوا بأقوال أكثر قبل تنفيذ الحكم، ولكن كان محظورا على الحكام أن يلقوا المجرمين للوحوش إستجابة لصخب الشعب، ولم يكن مفروضا أن يلقى المتهمون للوحوش لتفترسهم ولكن لكى يصارعوها، وقد يموت المجرمون أثناء تعذيبهم، ولكن لا يكون التعذيب هو وسيلة إماتتهم.

٤ - قطع الرأس بالسيف:

وكانت هذه العقوبة تطبق على من يحكم عليهم بالموت من المواطنين الرومانيين.

٥ - الاستعباد فى المناجم ليعمل بها المحكوم عليهم، بعد وضع السلاسل فى أيديهم وأرجلهم وكانت السلاسل فى أيديهم وكانت السلاسل متفاوتة الثقل.

٦ - النفى إلى جزيرة نائية موحشة:

وهذه العقوبة تشمل ضمنا فقدان حقوق المواطنة ولكن

ليس فقدان الحرية.

٧ - أساليب الجلد المختلفة:

وكان الضرب بالعصى يعتبر أكرم من الجلد بالسياط.

وبإستعراض هذه التهم والعقوبات نجد أن الدولة قد طبقتها علي المسيحيين بل استحدثت لهم ألوانا من التعذيب بقصد إخضاعهم بأية وسيلة وكانت المسيحية هى كبرى الجرائم.

ونستطيع أن نضع العذابات التى احتملها المسيحيون تحت نوعين: أدبى وجسدى ، ثم نضيف إليها تجاوزا نوعا ثالثا هو الضغط العاطفى.

ونود أن نشير إلى أن بعض هذه العذابات كان عاما فى كل أنحاء الدولة وبعضها كان إقليميا ، كما أنها لم توجد بهذه الصورة منذ بدايات الاضطهادات لكنها كانت تزداد شدة بتقدم الزمان.

الاضطهاد الأدبى:

ونقصد به كل ما حل بالمسيحيين من إهانات وتحقير وتضييق كان منصبا على النفس بعيدا عن الجسد وإذا كان المسيحى فى عرف الرومان لاحق له فى أن يوجد فنستطيع أذن أن نتصور مقدار المهانة والاحتقار والإذلال التى كان يعامل بها

.. ويدخل تحت هذا القسم الفصل من الوظائف ، ومصادرة الأموال والممتلكات ، وفقد حقوق المواطنة ، وسلب البيوت والأمتعة، وفقد حق التقاضي أمام المحاكم مالم يكن يحمل صاحب الدعوى شهادة صحيحه تثبت إنه ضحى لآلهة الدولة.

وتوضح قصة جولتيا الأرملة الثرية من قيصرية كبادوكية كيف أصبح المسيحيون لا يتمتعون بحماية القانون ، فقد كان هناك مواطن لا أخلاق له استولى على الجزء الأكبر من ممتلكاتهم، وأعتزم ابتلاع ما تبقى ، فلجأت جوليتا إلى القضاء لينصفها منه، وحل يوم نظر القضية، وبدأ محاميها يشرح الأضرار التى أصابتها على يد المدعى عليه، وفجأة قاطع المدعى عليه إجراءات المحاكمة قائلا إن القضية ليست ذات موضوع، وأن أولئك الذين لا يعبدون الآلهة ولا يتعهدون بقطع كل علاقة لهم بالمسيح ، ليس لهم االحق فى أن يطلبوا إنصاف القانون وأقر القاضى وجهة نظره هذه، وجيء بالنار والبخور، وسئلت جولتيا ما إذا كانت تريد أن تثبت أحقيتها فى حماية القانون بتقديم البخور للآلهة غير أنها رفضت أن تكسب مآربها الدنيوية وتخسر نفسها، وكان ردها على كل ما أشار به الوالى وكان يميل إلى مساعدتها إنها خادمة المسيح وكانت النتيجة أن حكم عليها بالحرق ، فسارت وتقدمت إلى عامود الحرق

مسرعة تشجع كل امرأة تلقاها فى طريقها بألاتكون أقل شجاعة من الرجال.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن المسيحية فى فترة من الفترات قد حرموا من إستعمال الحمامات العامة، مالم يضحوا للآلهة...

أضف إلى ذلك ما تعرضت له العذراى والنساء المسيحيات عامة من معاملة شاذة عوملن بها، والضغط من جانب الولاة والحكام عليهن لتبقين على طهارتهن... بل أن الأحكام قد صدرت ضدهن بارتكاب الفجور قبل تنفيذ أحكام الموت، وسيأتى ذكر أمثلة على ذلك فى موضع آخر ونذكر الآن على سبيل المثال الفتاة العذراء أناثاس التى جردها الوالى من كل ملابسها ، ماعدا سترة تسترها من الحقوين إلى القدمين وقادها معذبوها عارية بهذه الصورة فى كل مدينة قيصرية قبل أن تحرق حية فى النهاية...

وفى محاكمة الشهيدة ثيودورة فى الإسكندرية ذكرها القاضى بالأمر الذى يقضى بإكراه السيدات والفتيات المسيحيات ممن يعتقدون أفكارا كأفكارها بأن يخضعن بالانتهاك البدنى.

التعذيب البدنى:

ونستطيع تحمل وسائل التعذيب البدنى التى استخدمت مع المعترفين والشهداء فيما يلى:

١ـ الحبس فى السجون وما يتبعه من سياسة التجويع والمعاملة السيئة وكانت سجون تلك الأزمنة تختلف تماما عن السجون المعروفة لنا الآن فقد كانت ضيقة مظلمة، جوها خانق كريهة الرائحة، ترتفع بها الحرارة نتيجة تجمع أعداد ضخمة فى أماكن ضيقة.

وقد تركت لنا بربيتوا شهيدة قرطاجنة الشهيرة بخط يدها وصفا للسجن الذى كانت فيه، وحدث أن كثيرا من المعترفين قد ماتوا لمجرد وجودهم فى السجن ورائحته الخانقة وقد جاء فى وصف سجن بقرطاجنة ضمن رسالة لبعض المعتقلين زمان جالريوس إنه لما يعجز عنه التعبير، ما قضيناه هناك من أيام وليال، فأهوال السجن مما تقصر دونه الألفاظ.

كان المسجونون يوثقون أيديهم من خلفهم، وتضبط أرجلهم فى المقطرة وهى عبارة عن خشبتين فيها ثقوب يقمط بها على ساقى المذنب ولذلك فإن السجين المسكين كان يتعذر عليه النوم وهو فى هذه الحالة، وساقاه مشدوتان فى المقطرة

ومتباعدتان عن بعضهما ، كل فى إتجاه وذراعاه موثقان من خلفه.

أضف إلى هذا أن الحبس فى هذه السجون المتعبة، كان يطول فى بعض الأحيان إلى شهور وسنوات مسجونا!!

حتى كبريانوس أسقف قرطاجنة كتب إلى بعض المعترفين فى السجن لتشجيعهم فقال:

إن تأخر استشهادكم فى ذاته يزيد من ثقل مجدكم ، وإن إعترافا واحدا كاف لأن يجعل منكم قديسين، ولكنكم تكرهون الاعتراف فى كل مرة تدعون عند إضاءة السجن، وتفضلون السجن على ضياع الايمان، فكل يوم يزيدكم سموا وإن من يلقى الاستشهاد فورا ، إنما ينال نصرا واحدا، وأما من يقاسى العذاب طويلا دون أن يغلبه الألم فإنه ينال كل يوم إكليلا.

٢ـ كانت توضع المسامير فى أحذيتهم ويلزمون بالسير مسافات طويلة من بلد لآخر حينما يرسلون إلى وال آخر ليحاكموا أمامه.

٣ ـ الجلد بالسياط والضرب بالعصى والأمشاط المدببة، وبعد الجلد كان يصب مزيج الخل والملح على جراح المعذبين.

٤ ـ كان المعترفون يرفعون إلى أعلا ، ويعلقون من إحدى أيديهم أو أرجلهم فيقاسون الأهوال المروعة، وذلك نتيجة

جذب أطرافهم ومفاصلهم كما كان يوثق البعض إلى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم، بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق القيود التى ربطوا بها والتى كانوا يحكمون ربطها جيدا.

٥ـ وبوحشية وبربرية كانوا يقدمون بنزع الأظافر أو ثقب المعترفين بأخشاب متدة تحت الأظافر أو سحقها فتبرز العظام من خلال اللحم المهترىء.

٦ـ كان يتم سحب المسيحى المعترف بإيمانه على الأرض فى الشوارع، إما بواسطة الدهماء، كما فعلوا مع مارمرقس كاروز الديار المصرية، وإما بناء على حكم القاضى بربط المعترف بذيل حصان يجمح فى الشوارع، وأحيانا كان يقضى بسحب المعترف على وجهه.

٧ـ بإلقاء المعترفين فى بحيرات جليدية متجمدة الماء.

٨ـ السلخ، أو كشط الجلد واللحم حتى يصلوا إلى العظم والأحشاء، وكانوا فى صعيد مصر يتممون هذا الأمر بحك الجلد بقطع المحار المدببة أو الفخار.

٩ـ مرور عجلات مسننة فوق جسم المعترف وهو نائم على الأرض، أو مرور آلة تعذيب أخرى وتدعى المكشطة تمزق الجسد إربا إربا.

١٠ـ نشر الجسم والعصر بالهنبازين وهو دولاب يتحرك

نصفه لأعلى فى إتجاه ونصفه الأسفل فى إتجاه عكسى، وبين نصفى الدولاب عدد من السكاكين الحادة، وكان الشهيد يوضع بين نصفى الدولاب الذى يدار فكان جسده يتمزق إربا إربا ويسيل دمه ويتناثر لحمه.

١١- صب رصاص أو قار مغلى فوق جسد المعترف أو حرق أكثر أعضاء الجسم حساسية، أو النزول فى خلقين (برميل زيت مغلى) أو قار مغلى.

١٢- الحرق، وكان يتدرج فى الشى أولا إلى الحرق كاملا، كانوا يشوون الشهيد بالنار كاللحم الذى يشوى للأكل قليلا قليلا بقصد إطالة التعذيب وأحيانا ماكانوا يرفعون المعترفين من أقدامهم إلى أعلا منكسة رؤوسهم إلى أسفل فوق حطب يحترق بنار هادئة من تحتهم ليختنقو بسبب الدخان المتصاعد.

وكانوا أحيانا أخرى يحمون صفائح رقيقة حتى تتوهج، ويضعونها على أجزاء الجسم الحساسة، وأحيانا ماكانوا يدحرجون المعترف فوق مسامير حديدية متوهجة، كما كانوا يضعون أسياخ حديد محمية فى الحنجرة أو الأذنين، وفى أحيان أخرى، كانوا يجلسون الشهيد على كرسى من الحديد أو يجعلونه ينام على سرير حديدى ويوقدون من تحته النيران،

وأحيانا ماكانوا يلبسونه خوذة محمية بالنار فى رأسه ، وأحيانا أخرى كانوا يغطون بعض أعضاء الجسم بأقمشة كتانية مبللة بالزيت ويشعلون فيها النار فيذوب شحم الجسد ويتساقط كالشمع!!

١٣ ـ كانوا يربطون اليدين والرجلين بغصنين كبيرين لشجرتين متقاربتين ويضم الغصنان إلى بعضهما بألة خاصة ، ثم يترك الغصنان ليعودا إلى وضعهما الطبيعي فينشطر جسم الشهيد إلى اثنين، وقد إتبعت هذه الطريقة كثيرا فى صعيد مصر.

١٤ ـ تشويه الجسد ببتر أعضاء معينة من الجسم أو إتلافها كقطع أحد اليدين أو الرجلين أو الأنف أو الأذنين . وفقأ إحدى العينين ثم كى تجويفها بحديد محمى بالنار، أوكى أعصاب المفاصل حتى تشل الأعضاء!! وهؤلاء بعد تعذيبهم بهذه الكيفية ، كانوا يرسلون للعمل فى المحاجر أو المناجم.

١٥ ـ الشنق وقطع الرأس بالسيف أو الفأس وكانت هذه أسهل الميتات.

١٦ ـ الإلقاء فى اليم (نهر أو بحر) بعد ربط الجسد بثقل ليجذب إلى القاع.إما فى وضع معتدل أو منكس

١٧ـ وأحيانا ماكانوا يرجمون المصلوب بالحجارة

١٨ ـ دفن الإنسان حيا.

١٩ ـ الإلقاء للوحوش المفترسة، وكان المعذبون ينخسون تلك الوحوش فى بعض الأحيان بالنيران والحديد المحمى حتى يزداد هياجا وإفتراسا.

٢٠ ـ ولم تقف وحشية الوثنيين المعذبين من الأباطرة والحكام عند هذا الحد بل إنهم قد مثلوا بجثث الضحايا المسيحيين حتى بعد موتهم، فكانوا لا يسمحون بدفنها، بل يتركونها فى العراء خارج المدن لتنهشها الطيور الجارحة والحيوانات الضارية، بل لقد وصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا يخرجون الشهداء المدفونين من بطون القبور، ويلقونها فى البحر حتى لا يكرمها المسيحيون!

الضغط العاطفى:

ونقصد به ما تعرض له المعترفون والشهداء من ضغط عاطفى من أقرب الناس، الذين يرتبطون بهم بروابط حب طبيعى قوى ونتيجة إظهار مشاعرهم وعواطفهم وإقرانها بتوسلات ودموع.. وهذه مما لا شك كانت تضغط على المعترفين ضغطا قاسيا، حتى إعتبرت أنها أكثر ما فى كأس الاستشهاد من مرارة، ويقول المؤرخ المدقق دكابر سنسية:

لقد أثبتت محبة الأهل فى أكثر من حالة أنها هى من أخطر

التجارب التى تعرض المقبوض عليهم لها.. لقد كان على بر بيتوا وهي امرأة ضعيفة (٢١) سنة وكانت متزوجة حديثا ، الصمود وإن تقاوم في أن واحد توسلات ودموع والدها المسن ذى شعر الأشيب، وصراخ طفلها الرضيع ، وكذلك الحكام الذين إعتبروا السعى لاسترداد المسيحيين المجد فشجعوا أمثال هذه اللقاءات المؤلمة وكان الحكام يحرمون وبشدة الاتصال بالأقرباء أو الأصدقاء لكن إذا أحسوا أن تجديد هذه الصلة الحبيبة يمكن أن يؤدى إلى ميل المسيحى للإنكار فإنهم كانوا يسمحون .لذلك بل ويشجعونها، فكانوا يعطون حرية زائدة للأب أو الزوج الوثنى، الذى يأتى ليستعطف المسجون بالوسائل العاطفية فمثلا حفظت بر بيتوا بعيدا عن زوجها الذي كان يشاركها نفس إيمانها بينما سمح لوالدها وحسبما يريد أن يلتقى بها ويستعطفها حتى يزعزع ثباتها.

كان مسيحو تلك الأيام مطالبين بأن يعطوا تفسيرا حيا بليغا لكلمات المسيح إن أتى أحد إلى ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده وإخوته، وحتى نفسه أيضا ، لا يقدر أن يكون لى تلميذا.

فنحن نستطيع أن نرى من خلال شدة كرههم أن الكراهية فى مفهوم هذه الوصية يأتلف مع عمق المحبة لقد كان تحمل الآلام

أسهل من أصوات الأطباء وهي تستعطف متألمة، ولكن مثل هذه التجربة كانت جزا من جهاد المعترف المقبوض عليه، ويقول أوريجينوس الذى عاش وسط الاضطهاد كان يصل عذاب الاستشهاد إلى أوجه حينما يقترن عنف حراس السجن بتوسلات الوالدين الرقيقة ، ليهتز ثبات المسجونين وطوال المحاكمة حتى أخر الطريق إلى الاستشهاد .

إن من أفظع الأباطرة بطشا مكسيميانوس الذى شارك ديوكلتيانوس الإمبراطورية كما شاركه فى وحشيته وقسوته، ولما كان هذان الحاكمان يسيطران على الشرق والغرب، فإنهماقد جند شباب جميع الشعرب الخاضعة لسلطانهما، وكان بين كتائب الجيش كتيبة تعرف باسم الكتيبة الطيبية نسبة إلى مدينة طيبة وهى الأقصر حاليا، وكان ضباط هذه الكتيبة وجندها معروفين بشجاعتهم وثباتهم وجلدهم وطول أناتهم، كما كان إخلاصهم مضرب الأمثال.

وحدث أن أهالى غاليا (فرنسا) تمردوا على الإمبراطور مكسيميانوس وأراد أن يقمع ثورتهم فأرسل إلى زميله ديوكلتيانوس يطلب إليه إرسال الكتيبة الطيبية لنجدته ، فأمر أن تنقسم الكتيبة إلى قسمين: قسم يتجه إلى حدود غاليا ويرابط هناك، وقسم اخر ينتظر على الحدود السويسرية

استعدادا للطوارىء.

وكان الإمبراطور مكسيميانوس معتادا أن يذهب إلى المعبد ليلة المعركة ويبخر للأوثان استرضاء لهم لينصروه فى معاركه، وفى الليلة التى كان مزمعا فى صباحها أن يبدأ قتال غاليا أمر الكتيبة الطيبية بأن تصحبه إلى المعبد لتشاركه التبخير للآلهة، ولكن رجال هذه الكتيبة كانوا مسيحيين فأعلنوا رفضهم لتنفيذ رغبة الإمبراطور، وبإزاء هذا الرفض الصريح، أمر جنده الرومان بأن يصفوهم صفا ويجلدوا كل عاشر فى مختلف الصفوف ثم يقطعوا رأسه بعد جلده، وهكذا فتك بعشر الكتيبة مقوهما أنه بذلك سيخيف الباقين فيطيعونه، ولكنهم اتفقوا فيما بينهم على كتابة خطاب له، وقعوا عليه جميعا قالوا فيه:

أيها القيصر العظيم، إننا جنودك، ولكننا فى الوقت عينه عبيد الله فنحن ندين لك بالخدمة العسكرية، أما الله فندين له بولاء قلوبنا ونحن نأخذ منك مرتبا يوميا أما الله فسننال منه الجزاء الأبدي أيها القيصر العظيم لا يمكننا بحال من الأحوال أن نطيع الأوامر لمخالفة الله، ومادامت أحكامك متفقة مع أحكامه تعالى فنحن ننفذها، إما متى تعارضت مع أحكامه فلن نقبلها لأنه ينبغى أن يطاع أكثر من الناس، وولاؤنا لأوامره

فوق ولائنا لكل الأوامر مهما كان مصدرها ، ولسنا ثوارا لأن لدينا الأسلحة وبها نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك ولكننا نفضل أن نموت أبرياء على أن نعيش ملوثين، وإننا على أتم الإستعداد لأن نتحمل كل ما تصبه علينا من صنوف التعذيب لأننا مسيحيون ونعلن مسيحيتنا جهارا!.

ولما قرأ الإمبراطور هذا الخطاب أزعجه لما فيه من إتزان وجرأة. فلم يزدد إلا ضيقا وغيظا وأمر بقتل العاشر مرة أخرى ، فاصطفوا جميعا فى شجاعة وثبات، وحين كان الواحد منهم يسمع أسمه كان يرمى بأسلحته على الأرض ويقدم ظهره للسياط وعنقه للسيف ، وهكذا أفنى مكسيميانوس عشر الباقين، على أن هذا البطش لم يشبع شهوة الإمبراطور فأمر الباقين بأن يصحبوه إلى المعبد ليبخروا للأصنام . ولكن الذين كانوا أحياء من الكتيبة لم يرهبهم قتل زملائهم ولم يترددوا، بل أعلنوا مسيحيتهم في تأكيد ورفضوا الإذعان للإمبراطور وعند ذلك احتدم غيظه فأمر بإبادة الكتيبة بأكملها حيثما كان أفرادها ، وهكذا أعمل الجنود الرومان سيوفهم فى رقاب الضباط والجنود المصريين ولم يبقوا منهم على أحد.

وهكذا استشهد الجنود المصريون بعضهم فى أجون وهى مدينة بسويسرا إسمها الآن سان موريس ، والبعض فى جوليا

وهى الأن مدينة بورجو سان دومينو فى لومبارديا بشمال إيطاليا، وغيرهم فى تريف التى تقع على نهر الموزيل بين فرنسا وبلجيكا، وأيضا فى فينتى وهى مدينة إيطاليا تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا من نيس، وفى برجامو إحدى مدن إيطاليا الشمالية وتقع على بعد أربعين كيلو مترا من ميلانو.

وكان استشهاد الجنود دفاعا عن عقيدتهم، لذا فقداسترخصوا كل غال حتى حياتهم لأن العقيدة هى التى تشكل كيان الإنسان فليس مستغربا لذلك أن يضحى بكل شىء من أجلها.

وبعد أن رأينا بطولة أبناء الصعيد دعونا نتجول قليلا فى عالم الشهداء والمعترفين الذين واجهوا أهوالا يشيب لها الوالدان وقد أضاءت وجوهم بابتسامة الرضى.

وأول شخصية سوف نرى بطولتها هى شخصية الأنبا فيلياس أسقف أتمى، وكان سليل أسرة عريقة فى المجد والجاه والثروة، هيأت أمامه كل السبل والفن والفلسفة، فنشأ ولوعا بالشعر شغوفا بالعلم والفلسفة.

ولما كان فيلياس من أسرة هذا حالها، رأى الرومان الانتفاع بمواهبه الممتازة ومكانته المرموقة فعينوه واليا على منطقته وقبل هو هذا التعيين إذ وجد فيه الفرصة سانحة لخدمة

شعبه خدمة واسعة شاملة وبالفعل فقد كرس حياته تكريسا كاملا لهذه الخدمة فأحبه الشعب وأخلص له الولاء إلى حد إنه لما خلت السدة الأسقفية أجمع الشعب على أن خير من يليق بالأسقفية هو الوالى فيلياس، وهكذا تحول من خدمة الدولة إلى الخدمة الدينية.

على أن الأمور لم تسر على مايرام فقد نقض ديوكلتيانوس عهده مع المسيحيين وأثار عليهم إضطهادا مروعا ولم يستطع الأنبا فيلياس أن يجنب شعبه ويلات هذا الاضطهاد ولكنه نجح فى أن يملأ القلوب عزيمة، والنفوس شجاعة وثباتا فتقدموا للإستشهاد بعد أن أفاض قلوبهم سلاما داخليا، واشتد الاضطهاد فسافر الأنبا فيلياس إلى الإسكندرية ليتشاور مع البابا بطرس فى الخطط التى يجب اتخاذها لتدعيم إيمان الشعب وقبول المجاهدين والتائبين، ومن الإسكندرية بعث رسالة إلى شعبه يثبته ويقويه ويصف له بطولات تشبه الأساطير ولكن حقيقتها أعجب بكثير من كل خيال حتى إن الذين شاهدوها من المؤمنين تشددوا وتعزوا أما غير المؤمنين فعندما شاهدوها فلم يؤمنوا فحسب بل أعلنوا إيمانهم جهارا أيضا بدورهم إلى صفوف الشهداء.

وكانت هذه الرسالة إلى جانب ما قام به الأنبافيلياس من

تقوية للعزائم سببا فى أن يلقى الرومان القبض عليه ويطرحوه فى غيابة السجن.. على أن الطغيان الرومانى رغم ما فيه من قسوة وبطش تراجع بعضا من الوقت أمام قتل هذا الرجل خوفا من أن يثور الشعب صونا لكرامته وتتضح هذه الحقيقة من محاولة استرضاء هذا الحبر الجليل الجرىء، إذا قد استحضره الوالى الرومانى وحاول أن يستشير محبته لقومه، فقال له إنهم إن فقدوه فقدوا شجاعتهم وإيمانهم، بل، إن بعضهم سيفقد عمله الذى يرتزق به، ومع، أن قلبه كان يتوجع على شعبه لأن هذه الكلمات كانت تنزل عليه كالسياط إلا إنه ظل ثابتا مؤكدا للوالى أن موته سيزيد الشعب شجاعة وتماسكا، وإسترسل الوالى الرومانى يقول:

أتعرف أننى أود إكرامك، ولا أريد أن الحق بك الأذى لأننى أعرف مجد عائلتك وضخامة ثروتك؟ فنبخر للآلهة بدلا من أن تموت ميتة شنيعة.

فأجابه الأنبا فيلياس بهدوء:

إن شئت أن تكرمنى فقل لجنودك أن يعذبونى قبل أن يميتون.

وعندئذ أمر الوالى بإعدامه فساقه الجند مع غيره من المسيحيين خارج المدينة لقتله، وبدأوا به لأنه الرئيس الدينى

. وقبل أن يمد عنقه للسياف مد ذراعيه على شكل صليب ! وأخذ يصلى بصوت عال ويقوي عزيمة أبنائه، وما كاد ينتهى من صلابة حتى عاجلة الجند بضربة قاضية فدخل فى صفوف الشهداء.

ولقد وصف أوسابيوس أحد كتاب التاريخ المسيحى اضطهاد ديوكليتانوس بقوله: أستمر التعذيب والقتل يوما بعد يوم، وشهرا بعد شهر، وسنة بعد سنة، وكان يستشهد فى اليوم الواحد خمسون، وثمانون، ومائة حتى لقد كان القتلة أنفسهم يسأمون أو يسقطون إعياء، وكان الهمجيون من القتلة يرمون النساء والأطفال فى السجون بعد جرهم على الأرض فى الشوارع إلى، أن تتجرح أجسامهم وتسيل منهم الدماء فتروى التربة المصرية وتزيد إلى خصبها نعمة، وعلى الرغم من القسوة والوحشية، وعلى الرغم من أن الوثنيين أنفسهم كان يعروهم الهلع والإشمئزاز من بطش حكامهم إلى حد أن البعض منهم كان يعمل على إخفاء المسيحيين فى بيوتهم، وعلى الرغم من هذا كله فإن الشعب المصرى الأرثوذكسى اندفع بشجاعة عجيبة وجرأة نادرة إلى حيث تنتظره الأهوال فى رضى وحبور، وكان المحكوم عليهم يسيرون وسط أناشيد التسبيح والتهليل كما لو كانوا ذاهبين إلى العرس.

وبعد أن وصف أوسابيوس آلات التعذيب المختلفة وبطولة الشهداء فى استقبالها قال:

إن ما بدأه القبط من بطولة داخل أوطانهم لم يكن بأقل مما أبدوه خارجها فقد حدث أن خمسة من القبط ذهبوا إلى قيسارية فلسطين ليبثوا روح الشجاعة فى نفوس مواطنيهم المحكوم عليهم بالشغل فى مناجم ذلك البلد، وبعد أن قاموا بواجبهم حاولوا العودة إلى بلادهم فعرف الحكام مكانهم إذ ذاك وقبضوا عليهم وأخذو يستوضحونهم عن الباعث على مجيئهم إلى قيسارية فاعترفوا بالحقيقة دون تردد وسيقوا إلى المحكمة، فلما مثلوا أمام القاضى سألهم عن أسمائهم فانتحلوا أسماء إيليا وأشعياء ودانيال وأرميا وصموئيل فلم يدرك القاضى أن هذه أسماء منتحلة، وسألهم عن موطنهم الأصلى فقالوا أورشليم السمائية وقد أثار هذا الجواب فى نفس القاضى من الارتياب ما جعله يحكم بإعدامهم بعد تعذيبهم وتوهما منه أن أورشليم هذه ستكون مدينة منافسة لروما وهكذا إنتقل هؤلاء الشهداء إلى السماء وهم بعيدون عن موطنهم المحبوب مصر.

ولكن كان من بين المعترفين الذين ذكرهمّ أسابيوس فى تاريخه القبطى شخص إسمه يؤنس كان قد بلغ سن الشيخوخة

وفقد بصره عندما اندلعت نار الاضطهاد ، ومع أن هذا لم يحل دون تنكيل الرومانيين به إذا سولت لهم النفس الأمارة بالسوء بحرق موضع عينيه الضريرتين وبتر إحدى ساقيه.

وإرساله بعد ذلك إلى فلسطين للعمل في مناجمها مع غيره من القبط وكان هذا الشيخ يحفظ آيات الكتاب المقدس عن ظهر قلب ويسمعها للمؤمنين كما لو كان يقرؤها فى كتاب، وقد سمعه الأسقف أو سابيوس صاحب التاريخ الكنسى يتلو آيات الكتاب المقدس على جمع غفير فلم يفطن إلى أنه يلقيها عن ظهر قلب ولا يقرؤها في كتاب إلا عندما ما رآه بعينه.

وقد وجه دقلديانوس جهوده الرئيسية نحو مصر التى أستعصى على الرومان إخضاعها دون سائر بلدان المشرق ودام اضطهاده لها قرابة العشر السنوات ، وقد شهد المؤرخون بأن عدد الشهداء المصريين الذين راحوا ضحية الاضطهاد كان بالغا جدا لا يوصف وفى ذلك قال أحد المؤرخين الذين عاصر هذا الاضطهاد لو أن شهداء العالم كله وضعوا فى كفة الميزان وشهداء مصر فى كفة ميزان الأخرى لرجحت كفة المصريين وقد استهل هذا العصر بظهور الشهيد أبانوب النهيسى حيث ، إن الاستشهاد لم يقتصر على الرجال وكبار السن وإنما شمل كذلك الأبناء وصغار السن وقد ولد الطفل أبانوب بنهيسة مركز طلخا

القريبة من سمنود المدينة التى إقترنت باسمه بعد ذلك، وقد ولد أبانوب لأب يدعى مقار وأم تدعى مريم ولم يكن لهما أولاد سواه لذا فقد كانا يحبانه جدا وكانا قدوة له فى كل شىء وعلماه كيف تكون الشهادة لا بالكلام وبل بالنظر والسمع إلى تصرفاتها كل يوم وقد إمتلأت نفس هذا الطفل ذى الإثنى عشر ربيعا حزنا على مدينته سمنود وتوجع قلبه من أجلها عندما رأى الكنائس قد هدمت وأن الناس أقاموا التماثيل ليسجدوا لها ومذابح للأصنام ليرفعوا عليها ذبائحهم وأخذ يطوف بأرجاء المدينة وهو يردد صلواته لأجل نفسه ولأجل مدينته وأمضى ليلته وهويتلو هذه الصلوات وقد أضمر فى نفسه إنه سوف يعترف بمسيحيته وليكن ما يكون.

وفى الصباح الباكر مضى مسرعا حيث يقيم الوالى وتقدم إليه وأقر واعترف جهرا بإيمانه المسيحى وزاد على ذلك بأن وبخ الوالى على تركه عبادة الإله الحى رب السماء والأرض وإنحرافه لعبادة الأصنام قائلا له:

لقد أنعم الرب عليك بالكثير، وجعلك سيدا لقومك، لك الأمر وعلى القوم الطاعة، ولكنك كفرت بنعمته وحدت عن طريق الحق وارتضيت بطريق الفساد وعبادة الأصنام ساجدا للحجارة التى لا تسمع ولا تتحرك، وتركت الإله الحى رب

السماء والأرض وزدت على ذلك أنك تريد أن تزج في هذا الطريق كل الشعب فارجع إلى عقلك، وأفسح الطريق أمام الناس ليعبدوا إلههم وينفذوا وصاياه.

وأكمل أبانوب كلامه فى قوة لامثيل لها وختمه بأن طلب من الوالى فى شجاعة وجرأة أن يعجل بقطع رأسه حتى ينال إكليل الشهادة هنالك تعجب الوالى واندهش عند سماعه هذه الكلمات من فتى صغير، وظن أن مقاومة الصبى لكلامه المعسول ستتلاشى سريعا ان هو كلحه ، وكذلك رؤية الوالى وأنه يقف وحيدا أمامه وأمام حاشيته ، ولكن التربية المسيحية فى كل العصور كانت تربية للشهادة.

بهذه القوة كان القديس يخاطب الوالى ولم يجزع منه ولم يرتب بل وقف في شجاعة ويسألة قد لا تناسب سنه ولكنها نابعة من داخله فكان أصلب من الصخر فى إيمانه.

وسأل الوالى القديس الطفل أبانوب قائلا من أنت؟ وكيف جرؤت على أن تدخل هذا المكان؟

فأجابه القديس وقد خرج الكلام من فمه كالسهام النارية إلى قلب الوالى. قائلا أنا مسيحى وأسمى أبانوب، وقد جئت إلي هنا وأنا أعلم أنك تضطهد المسيحيين وقد جئت إلى هنا حتى أعترف بإيمانى وأعلم أيها الوالى أنى لا أخاف العذاب ولا

أخشى الموت، ولا الآلام وأنا مستعد بقوة إلهى أن أحتمل كل الاضطهادات، وثق أنه لو أنك لم ترجع عن عبادة التماثيل فسينا لك عذاب عظيم فى هذه الحياة وعذاب أعظم فى الحياة الأخرى. فهناك النار التى لا تطفأ والدود الذى لا يموت وويل لك أيها الشقى والويل لمن يسجد لأصنامك المرذولة

لقد فوجىء الوالى وذهل عند سماعه هذه الكلماتكما تعجب من جراءة هذا الطفل، وتغير وجهه واستشاط غيظا لكنه لأجل المحيطين به تظاهر بعدم المبالاة، محاولاأن يثنى القديس عن إيمانه تارة بأغرائه وبالوعود الكثيرة وبالملاطفة تارة أخرى موملا لو خضع له وسجد لألهة المملكة، ولكن القديس أجابه قائلا إن كل الأموال والعطايا والوعود الأرضية قد زهدتها نفسى ومهما قدمت لى فلن أترك إلهى وثق أيها الوالى أنه مهما طال وقوفى أمامك، ومهما اشتدت الآلام وزادت خسارتى الأرضية فلن أترك ربى وإلهى.

وقد شعر الوالى بالخجل والخزى واغتاظ لهذه الكلمات التى سمعها وزاد خجله إنها صدرت عن صبى صغير وأنه تهكم بشدة على الآلهة وازدرى أوامر الإمبراطور.

وفى سورة غضبه أمر بأن يطرح القديس على الأرض ويلقى على ظهره ثم أمر الجنود بأن يضربوه بالسياط على بطنه،

ونفذ الجنود الأمر حتى خرجت أحشاء أبانوب من بطنه وتكسرت عظامه بينما هو يرفع قلبه إلى الله وكان يصلى إليه حتى يقويه ويحمل عنه هذه الآلام إستجاب له الرب وبقوة إلهية رجعت أحشاؤه إلى موضعها ولم يظهر أى أثر للضربات التى نالها فشكر الرب.

قام الصبى القديس أبانوب ومضى إلى الوالى الذى ذهل حين رأى أبانوب صحيحا معا فى فأعلن له الصبى أن الذى شفاه هو الله وقال له إعلم أيها الوالى أنك ستمل من تعذيبى ولن تستطيع أن تبعدنى عن إلهى ، فإنى لأجله مستعد أن أحتمل كل العذابات.

ثم أخذ يوبخه على تركه لعبادة الإله الحى وعبادته للأصنام .

ورغم المحاولات المتعددة للوالى لكنه لم يستطع أن يثنى أبانوب عن إيمانه وجلس متحيرا من شجاعة هذا الصبى الصغير.

وامتثالا لأمر الوالى فقد قبض الجنود على القديس وقيدوه بالقيود الحديدية وجروه إلى السجن وشاءت إرادة الله أن تحفظ حياة الصبى أبانوب ، فلم تنل منه صنوف التعذيب التى لقيها، والتي كانت كفيلة بالقضاء عليه، ولم تكن حداثة

سنه ونضارة بدنه هى التى هيأت له اجتياز مرحلة التعذيب، فقد كان هناك من هو أقوى منه ولم يثبت تحت وطأت التنكيل ولكن كانت القوة الداخلية النابعة من إيمانه هى سبب قوته فى مواجهة جبروت الوالى.

وقام الوالى باستدعاء القديس من السجن، ولما مثل أمامه بادره بقوله. ما الفائدة التى ترجوها من قتل كل هؤلاء الناس الذين شجعتهم على هذا المسلك (غير أن القديس كان ثابتا (مما زاد من غيظ الوالى الذى فكر فى أن يرسله إلى وال آخر هو والى أتريب لعله يستطيع أن يتعامل معه ويتصرف فى أمره بطريقة أو بأخرى. وأراد والى سمنود أن يمهد لهذا التصرف بحلقة حديدية من العذابات ليشفى غليله، فأمر الجنود أن يعلقوا الصبى على صاري المركب عند إقلاعها وهو منكس الرأس.

وقال الوالى بعد أن أتم الجنود ما أمرهم به وعلقوا القديس : سأتركه هكذا حتى نصل إلى أتريب ونرى هل يأتى إلهه الذى يعبده ويخلصه من أيدينا وأبحرت المركب مسيرة يوما كامل والقديس معلق وهو منكس الرأس على قلع المركب وهو ينزف دما من فمه وأنفه، ولم يجد قطره ماء تروى ظمأه بينما كان الوالى يمسك بيده كوب ماء يشرب منه ولم يكد الوالى

يدفع الكوب إلى فمه حتى شلت يده وكانت يد الله على جنود الوالى فضربهم بالعمي فصرخوا مما أصاب عيونهم وغشاها.

وارتعب الوالى وأدرك أن ما حدث له بسبب ما فعله بالصبى أبانوب فنظر إليه وإذا به يرى دما كثيرا نازلا من فم القديس وأنفه فتقدم الوالى نحو القديس وهو يصرخ مستنجدا به مستعطفا إياه قائلاً:

بالحقيقة أيها الصبى أبانوب إن إلهكم عظيم وقادر على كل شيء وأمام قدرته لا أستطيع أن أفعل بك أكثر مما فعلت وأسألك أن تصلى لأجلى حتى يهبنى إلهك القوة لأشهد له ولكي يشفينى أنا وجنودى ونصير جميعا مسيحيين لأننا اليوم نظرنا إلهك العظيم ولمسنا قوته

وصلى أبانوب لأجل الوالى وجنوده .ورست المركب بعد رحلة عجيبة على شاطىء أتريب ونزل الجنود وأقتيدوا إلى والي أتريب وهم غير مبصرين وأعلموا الوالى بكل ما حدث لهم فى رحلتهم هذه، وخلع الجنود مناطقهم العسكرية أمام الوالى وأعلنوا إيمانهم.

وأنطلق الجنود فى كل موضع فى المدينة يعلنون فيه عن إيمانهم الجديد أما والى أتريب فقد أنزعج لما رأى ما حدث من الجنود وما سمعه منهم فأرسل سريعا وآستحضر والى سمنود

إلى دار الولاية، وسأله باستفاضة عما حدث لهم وما حملهم على ترك عبادة آلهة المملكة فقص عليه وآلى سمنود القصة ولحق بجنوده وهو يعلن للجميع أنه صار مسيحيا وأخذ يقص فى كل موضع ما حدث لهم ، وشاع خبر هذه المعجزة فى كل المدينة وآمن على أيديهم عدد ليس بقليل ، وأصدر والى أتريب أمره إلى جنوده فساقوهم جميعا إلى ساحة الاستشهاد فمضوا إليها بخطى ثابته، تعلو وجوهم بسمة راضية ومرفوعة رؤوسهم ونالوا إكليل الشهادة.

وأمام هذه الدماء الكثيرة التى سفكت وقف الوالى متحيرا يفكر في الأمر ، ويتعجب مما حدث مع والى سمنود وكيف صار مسيحيا وهو الذى قتل آلاف المسيحيين، واستشار من حوله فى هذا الأمر فأعلموه أن كل ما حدث كان بصبى صغير يدعى أبانوب فأرسل الوالى جنوده فإستحضروا القديس وبادروه بقوله "أريدك أن تجيبنى ما الفائدة التى تعود عليك من قتل كل هؤلاء بلا سبب ، ألا تعلم أنه كان يمكن أن تحقن هذه الدماء لو أنك استجبت لأمر الملك وبخرت للآلهة !، ولكن أمامك فرصة الآن حتى تسجد للآلهة وأنا أعدك بكرامة ومجد عظيم.. وبهذا نضع حدا لهذه الاضطهادات ونوقف سفك الدماء.

فأجاب القديس فى حزم وثبات وحاول الوالى مع القديس محاولات شتى ولكن من بدون جدوى فقد باءت كل مساعيه لاستمالة القديس بالفشل، فغضب غضبا عظيما ، وفى ثورة وهياج صاح فى القديس الصبى أبانوب وأخذ يتوعده بالعذاب القاسى وأشد أنواع العقاب ولكن لم يفت هذا التهديد فى عضد القديس فظل على ثباته وإيمانه وتقدم فى شجاعة نادرة يتحدى العذاب ويقابل الأهوال بقلب جرىء.

وكان أول هذه العذابات أن عروه من ثيابه وإنهالوا عليه بالسياط فضربوه مائة جلدة، (ومعروف أن السوط الرومانى تتركب الواحدة منه من عدة عقد مثبت بكل منها قطعة من عظام الحيوان،) فإمتلأ جسده بالجراح ثم حملوه وألقوه فى إناء مملوء بالزيت المغلى واحتمل الألم ، وصلى صلاة حارة وأستجاب الرب لصلاته فشفى القديس من جراحاته وخرج من إناء الزيت ولم يظهر فى جسده أى أثر للنار والحروق، وكان يبتهل شكرا له لأنه حفظه وأنقذه من آلامه.

وقام الصبى القديس أبانوب لوقته مسرعا ، واستدل على مكان الوالى فعلم إنه بدار الولاية فأبصر الوالى يحيط به القادة والجنود وكان يطلعهم على رسالة من أرمانيوس والى الإسكندرية يؤكد فيها على ضرورة القبض على جميع

المسيحيين وأن يعذبوا عذابا شديدا حتى يجحدوا مسيحهم وكل من كانوا يتمسكون بإيمانهم رغم العذابات كانوا يرسلون إلى والى الاسكندرية حتى يزيد من تعذيبهم.

وما إن سمع القديس هذا الكلام حتى دخل عليهم مسرعا واختطف الرسالة من يدى الوالى ومزقها إربا إربا ثم ألقاها فى وجوههم وهو يقول:

"حتى متى تعذبون المسيحيين الأبرياء ، ماذا فعلوا بك لقد أعطانى الرب أن أجاهر بإيمانى ، وأفضح عبادتكم المرذولة وأصنامكم النجسة، وأظهر قوة إلهى رب السماء والأرض و خالق الموجودات بكلمة قدرته..".

وقبل أن يكمل القديس كلامه استدعى الوالى جنوده وأمرهم أن يقبضوا على القديس، وأن يحملوا سيخا من الحديد ويدخلوه فى عينيه ، فنفذوا أمر الوالى وادخلوا السيخ فى عينيه فأفقدوه البصر بل وعينيه أيضا وتركوا مكانهما تجويفا، وزادوا على ذلك بأن وضعوا القديس فى صندوق خشبى تمر عليه سكاكين حادة، وما إن دارت هذه السكاكين حتى تقطع جسده وتناثر لحمه.

وفى وسط هذه الآلام التى لا تحتمل كان القديس يصلى رافعا قلبه إلى الله حتى يحمل هذه الآلام عنه وأن يهبه قوة

مضاعفة، وقد استجاب الرب لصلاته فشفاه من جراحه وعادت عيناه طبيعية كما كانت وأبصر ثانية. ولما رأت الجموع المحتشدة هذه المعجزة الحادثة أمام أعينهم صاحوا مع الجموع وأعلنوا إيمانهم فتحرك الجنود على عدد من أعلنوا مسيحيتهم فضربوا وقتلوا منهم عدد كبير وبلغ عدد من استشهدوا فى ذلك الوقت حوالى ثمانمائة وخمسة وثمانين نفسا.

وفى محاولة أخيرة يائسة أرسل الوالى أحد قادته إلى القديس يأمره أن يسجد للآلهة فى سخرية ممتزجة بالغضب وعلى الرغم من كل هذه الآيات التى صنعها الله بينهم إلا أنهم لم يؤمنوا بل وفى كل مرة كانوا ينسبون هذه الآيات للحجارة التى لا تعى ولا تدرك!

وصاح فيه القديس قائلا: ملعونة هذه الحجارة وملعون من يعبدها، وكل من يدفع الناس إلى عبادتها.. وأعلم أيها القائد أن إيمانى لن يتزعزع ومهما كانت تعذيباتكم ومهما بلغت قوتكم فلن نستطيع أن نغير فى لو قيد أنملة.

ولما علم الوالى بكلام القديس وتهكمه على آلهة المملكة وعلى الإمبراطور حرر أوامره إلى جنوده بتقطيع يدى القديس ورجليه، ونفذ الجنود أمر الوالى الذى كان لما نظر إلى القديس

فى هذه الحالة ظن أنه قد إنتصر عليه وصاح صيحة النصر ومضى فرحا مع حاشيته وعاد القديس يصلى مرة أخرى فشفاه الرب وأعاد أعضاءه إلى مواضعها وقام القديس معافى فأسرع الجنود إلى الوالى وأخبروه بما حدث فاغتاظ الوالى وأرسل جنوده فقطعوا كل الذين آمنوا بسبب هذه المعجزات.

وأما القديس فوضعوا القيود الحديدية فى يديه ورجليه، وكتب الوالى رسالة إلى والى الإسكندرية وأرسل القديس فى حراسة الجنود وأبحرت المركب بهم جميعا فى طريقهم إلى الإسكندرية وأمضى القديس بالمركب ثلاثة أيام كانت مملوءة بالرؤى والتعزيات حتى وصلت المركب إلى الإسكندرية واتجهوا جميعا إلى الوالى وعندما وصلوا مثل القديس أمام الوالى الذى قرأ رسالة والى أتريب وأمر الجنود فحلوا قيوده ، بينما كان الصبى يعلن بصوت عال إيمانه المسيحى وأخذ الوالى يلاطفه ويراوغه لعله يرجع عن إيمانه ويبخر للأصنام ولكن القديس ظل على ثباته وتمسكه بإيمانه وأخذ يتهكم على الأصنام فأقسم الوالى أن يصب جام غضبه عليه بالعذابات المريرة.

وكانت أولى هذه العذابات أن أحضر الجنود أسيافا محماة بالنار ووضعوها فى كل أجزاء جسده واستمروا فى تعذيبه حتى سقط على الأرض وظن الجنود أنه سيموت هكذا فحملوا

الجسد والقوه فى السجن فقضى ليلته فى الصلاة وشفاه الرب مثل كل مرة، وفى الصباح أبصره الجنود واقفا يصلى فأبلغوا الوالى الذى استدعاه، وكان قد رفع تماثيله فى أكبر ميدان بالمدينة حتى يبخر ويسجد لها كل أفراد شعبه ويقدموا البخور والقرابين للآلهة وأمام هذه الجموع التى احتشدت فى هذا الاحتفال طلب الوالى من القديس أن يتقدم ويسجد للآلهة ولكن القديس أخذ يلعن هذه التماثيل ويتهكم على عابديها وعلى الملك الشرير، فهدد الوالى وتوعده، فأجابه القديس إعلم أيها الوالى إنك ستمل من تعذيبى وإنى أحسب ذلك كل فرح".

ولما لم يجد الوالى أى استجابة من القديس أمر جنوده فألقوه فى مغارة مظلمة موحشة تسكنها الثعابين، وفيها أقام القديس يوما كاملا وقد أرسل الرب ملاكه لحراسته فلم تمسه الثعابين وفى اليوم التالى مضى الوالى إلى موضع القديس فتبعه ثعبان ضخم هجم على الوالى والتف على رقبته بسرعة، فصرخ الوالى مرتعبا وآستنجد بالقديس حتى ينقذه فأمره القديس فرجع بقوة الله إلى المغارة ثانية، وصارت كثير من الجموع المحتشدة مسيحيين وأعلنوا عن إيمانهم فأطاح الوالى برؤوسهم جميعا أما القديس فوضعه الجنود فى إناء

مملوء زيتا مغلى والنار مشتعلة من تحته غير أن الزيت والنار لم يمسا القديس بسوء بقوة الله فا نذهل الوالى لما وجد القديس حيا ولم يتأثر بكل العذابات التى إجتازها وقد وجد أن القديس الصبى أبانوب لن يتزحزح عن أيمانه فكتب قضيته وأمر الجنود أن يأخذوه إلى خارج المدينة ويقطعوا رأسه ومضى الجند ومعهم القديس ونفذوا أمر الوالى.

وهكذ قدم الصبى أبانوب أروع قصص البطولة فى الدفاع عن العقيدة ضد عقيدة الرومان الغزاة حتى إنه تحدى أباطرة الرومان وقابل عذابا تهم بقوة وثبات إلى أن وصل به المطاف إلى أن ضحى بحياته فى سبيل عقيدته.

وبعد أن رأينا بطولة الشهيد أبانوب دعنا نر إحدى البطولات لشهيد يعد من أشهر الشهداء المصريين قاطبة ألا وهو القديس مارمينا، كان مسيحيا بمولده وكان شريفا إذ كان أبوه حاكما لأحد الأقاليم المصرية وكذلك عمه وكان جده لأبيه حاكما أيضا، وقد ولد القديس مينا حوالى سنة ٢٨٥ وقد رحل والده أودكسيس عن هذا العالم ومينا فى الحادية عشر من عمره، وفى سن الرابعة عشرة فقد أمه أفومية وأصبح مينا وحيدا فى المرحلة الحرجة من العمر، فهو فى سن المراهقة وقد أضحى بلا مرشد أو معين، فكان كريشة فى مهب

الريح ولكن هذا الصغير كان بالروح أقوى من كل هذه الظروف والملابسات الحزينة، وكان أصلب من التجارب رغم عنفها ولقد انضم الشاب مينا للجيش ونال مكانة لا بأس بها رغم صغر سنه، وذلك بسبب مكانة والده الرفيعة وبلا شك فإن الظروف والملابسات التى كانت تحيط به كانت كفيلة بأن تصنع منه شابا عابثا فهو قد:

١ـ كان لديه ثروات طائلة فقد كان وحيدا لوالديه فورث عن والده أموالا وأرضا وماشية ورث كل هذا بلا شريك.

٢ـ مركز امرموقا: فهو ضابط فى الجيش وابن أحد الولاة.

٣ـ هو من عائلة عريقة.

٤ـ يمتلك شبابا وحيوية كاناكفيلين بدفعه إلى طريق الرذيلة.

٥ـ يعيش مجتمع وثنى لا يعرف الفضيلة بل أكثر من ذلك وهو أنه يحض عليها ويدفع إليها دفعا.

لقد كانت كفة الشر هى الأرجح ..، وكانت الحياة الطاهرة احتمالا صعبا بعيد التوقع فى ظل تلك الظروف والأحوال.

فمن كان يتوقع للفتى مينا حياة بعيدة عن الخطية والسقوط فيعرف الأجنبيات كما يفعل الشباب فى كل العصور والأجيال ويقول لنفسه تبريرا لأفعاله إنها تجارب الشباب. ومن

كان يتوقع أن لابد من معامرة الخمر لينسى الهموم والأحزان كما يفعل الناس فى وقتنا الحاضر خاصة وأنه قد فقد الحنان وهو بعد صبى.

لا يـتـوقـع أن يـحـاول جـمـاعـة من الأشرار والوصـولـيـين الالتفاف من حوله ليبتزوا ماله، وينعموا بثروته ويدفعوه إلى التبذير والإسراف معتقدين أنه الفتى المدلل وحيد أبويه اللذين لم يرزقا به إلا بعد طول حرمان ولكن مينا كان قد وضع الطريق السمائى نصب عينيه ففعل عكس ما يمكن للبشر أن يتوقعوا منه وعكس ما يمكن لمأساة الشباب أن تثمر، وعلى هذا فقد ترك خدمة الجيش وتوجه إلى الصحراء ليتعبد وهناك أمضى خمس سنوات فى حياة نسكية وفى نهايتها رأى رؤية جعلته يتمنى أن يصير شهيدا حيث كانت الرؤيا تدور حول مجد وكرامة الشهداء، وفى ذلك الوقت كان مينا فى صحراء أفريقيا القديمة فخرج من عزلته متوجها إلى المدينة حيث كان هناك احتفال كبير بينما كان بأحد الأعياد الوثنية فاقتحم الاحتفال بجرأة بينما كان مرتديا ثيابا بسيطة وهو يصيح أنا مسيحى فذهل الموجودون وسادهم صمت تام فتقدم الجند نحو القديس وجذبوه إلى قائدهم الذى يرأس الاحتفال وسأل القديس:

هل أنت غريب ؟.. أم من هذه المدينة حتى تجرأت على اقتحام احتفالنا بعيد الملوك وفتعطه مزدريا به ؟ وأمرهم بالقبض عليه

غير أن بعض الجنود الموجودين تعرفوا على القديس مينا وقالوا للقائد إننا نعرف هذا الشاب، فمنذ خمس سنوات تقريبا كان ضابطا في فرقة « لوترياكون ».

فالتفت إليه القائد، وسأله: « هل أنت جندى حقا؟ ولماذا تركت الجندية بينما تعترف بأنك مسيحى وفوق كل هذا فقد أفسدت علينا الاحتفال؟

فقال القديس: لقد كنت جنديا ولكن لم يكن ممكنا أن أظل فى الجندية وأشارك فى العبادات الدنسة وأستمر فى سفك دماء إخوتى المسيحيين الذين يرفضون الديانة الوثنية.

وهنا غضب الوالى وأمر بإلقائه فى السجن إلى حين الفراغ من الاحتفال، ومن ثم ينظر فى أمره.

ولما عاد إلى سؤاله فيما بعد أخذ يعنفه فى بداية الأمر قائلا له أيها الكافر، كيف تجرأت وأتيت فى وسطنا بالأمس ولم تبال بالقانون، ولم تخش الملوك.

فقال له القائد: « انظر كم نحن مترفقون بك، وكم نحن صبورون من أجل شبابك وبالأخص بسبب أنك جندى، وابن

أحد قادة الجيش.. والآن أخبرنى أين ذهبت خلال هذه الفترة الطويلة التى تركت فيها الجندية؟.

أجابه القديس: إننى آثرت أن أنطلق لأسبح لالهى تائها (سائحا) فى البرارى والقفار، ساكنا وسط الحيوانات المتوحشة عن أن أعيش فى العالم، وأهلك فى التنعم مع الضلال.

فتعجب القائد لشجاعته، وحاول أن يستميله ليحوله عن إيمانه ويذبح للأوثان، ووعده بالتوسط لدى الإمبراطور ليسامحه عن هروبه من الجندية ويمنحه رتبة عالية تفوق رتبة أبيه ولكن القديس أبى أن يستجيب لهذه الوعود فضاق صدر القائد به وأمر بجلده بسيور مصنوعة من جلد الثور اللين رلى أن تتشبع الأرض من دمه، ولما فعلوا ذلك كان متهللا بالرغم من آلامه مما أثار إعجاب الجميع فصاح به القائد: "أرحم شبابك وجمالك، وقم وضح للآلهة قبل أن يهلك جسدك"

فأجابه القديس مينا "كيف أتخلى عن إلهى الذى لا يمكن أن يفصلنى عنه شىء: لا شدة، ولا ضيق، ولا اضطهاد، ولا سيف...".

حينئذ أمر القائد بأن يذاق ذلك الشاب أمر العذابات حتى يرجع عن ذلك كشط جسده حتى ظهرت عظامه منفصلة ووقف القائد غليظ الرقبة يناديه فى وسط هذا العذاب قائلا

هل تشعر يا هذا بالعذاب أم لا.

فأجاب القديس: إن عذاباتكم هذه إنما هى رأسمالى".

فتعجب القائد لهذا الكلام وسأله: هل إلهك يامينا يعرف أنك تقبل كل هذه العذابات وتلقى كل هذه الآلام من أجله"فأجاب القديس: كيف لا ونحن خليقته".

فسأله القائد ثانية"ومادام هو قادر اهكذا، وعالما بكل الأمور فلماذا يسمح بأن تقعوا فى هذه الآلام، ولا يدافع عنكم؟.

فأجابه البطل قائلا: إنه يسمح لنا بهذه الآلام لينقينا ويطهرنا. وكما أن الذهب لا يمكن أن ينقى بدون أن يطهر في النار فهكذا لان من غير الممكن أن نرضى إلهنا بدون ألم، فنارك هذه بالنسبة الينا مثل النار التى تنتظر الأشرار فسوف تحرق الأشرار إلى الأبد.

ولم يستطع القائد أن يستوعب هذه المعانى لذا فقد قال القديس: إني مشفق عليك، لذا فإنى أتركك يومين أو ثلاثة لكى تتبصر.

ولكن القديس أجابه: لقد إنتهيت من التبصر جيدا قبل أن آتى إلى هنا تيقن القائد من أن القديس ثابت على رأيه فأمر بأن يزاد العذاب قسوة، فأحضروا أوتادا حديدية حادة،

وثبتوها فى الأرض ثم سحبوه عليها إلى أن تمزق جسده كله.

وقد تحمل القديس كل هذا بفرح وتهليل، وأخذ ينادي القائد قائلا: ماذا تظن أيها الشقى.. هل كل عقابك وعذاباتك هذه تستطيع أن تزحزح منى أو تفصلنى عن محبة الله لأنه مكتوب عندنا أنه لا يفصلنا عن محبة الله لاشدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا رجوع ولا عرى ولا خطر ولا سيف.

وبعد أن تمزق جسد القديس، ولفوا جراحاته بمسح شعر ولكن الله لم يجعل القديس يشعر بشىء فلم يهتز إيمانه.

وقد صمم القائد على أن يحطم عناد هذا الشاب، فأمر بإحضار مشاعل ملتهبة، ووضعت من تحت ضلوعه لمدة ساعتين كاملتين ولكن بسر إلهى عجيب لم يشعر بشىء فتعجب القائد وحار، وكان يفكر كيف يتحمل هذا الشاب تلك الآلام المريرة دون أن يضطرب، أو يتأثر من إشتعال النار من تحته، فسأل القديس: ما هذا الذى أراه.

فأجابه القديس بأن إلهه قوى وقدير ويعطى عباده القوة التى يتحملون بها الآلام، فإستشاط الوالى غضبا، وأمر بأن يضرب على فمه فتكسرت أسنانه (وفى تلك الأثناء كان يقف أحد الحراس الذى إلتفت إلى القائد وقال له: «إن جنس المسيحيين ياسيدى يستعذب الآلام ويتحملها لأن الموت عندهم

أحلى من الحياة، وأعذب.

وفشلت كل وسائل التعذيب فى أن تزحزح القديس عن إيمانه كما فشلت معه الوعود المعسولة. فأرسله إلى وال آخر أشد منه قسوة لعله ينجح فيما فشل فيه هو، وكتب شارحا له ظروفه، والتهم الموجهة إليه وهى: ترك الجندية مع كونه مسيحيا، وأنه قد عذبه كثيرا ومع ذلك لم يلنأ ويتزعزع عن معتقده، ولم يقدم الذبائح للأوثان مخالفا أوامر الإمبراطور.

ركب مينا السفينة وسط حراسة قوية وعندما وصل إلى الجهة المقصودة وكان معه مؤمنون آخرون أمر الوالى بإلقائهم فى السجن، فانتهز «مينا» الفرصة وأخذ يشجع إخوته وشركاءه فى الضيق فكان بمثابة القائد الشجاع الذى يحث على القتال فى الحرب.

وقد استدعاه الوالى بعد ذلك وحاول أن يستميله بالوعود ففشل ثم هدده بعد ذلك، فوجد القديس متمسكا بعقيدته فلم يجد بدا من أن يعيد تعذيبه فبدأ يجلده بسيور مصنوعة من جلد الثور اللين، غير أن القديس لم يتحرك قيد أنملة عن إيمانه فقرر الوالى أخيرا أن يقطع رأسه ويحرق جسده بالنار وكتب حيثيات الحكم هكذا: «حيث إن مينا الجندى المسيحى قد رفض أن يطيع أمر الملك العالى ويذبح للآلهة، لذلك نأمر

بأن تؤخذ رأسه بالسيف ويحرق جسده بالنار.

فاقتاده العسكر إلى مكان تنفيذ العقوبة فسار بينهم فرحا مبتهجا وإنه لأمر غريب أنه يذهب الإنسان للموت بقدميه مبتهجا ولكنه هكذا كان حال الشهداء الأقباط المصريين.

وعندما وصل إلى المكان المحدد ركع ورفع عينيه نحو السماء وصلى صلاة حارة ثم مد عنقه للسياف الذى ضربه ضربة قاسية فصلت رأسه عن جسده . وهكذا قدم الشاب مينا حياته دفاعا عن عقيدته ! ولكن نهر الدماء لم يتوقف، فلم يكن هناك شيء يستطيع أن يوقف وحشية الرومان كما أنه لم يكن هناك شيء يستطيع أن يوقف تضحيات الأقباط بأنفسهم والتى بدأت بالقديس مرقس الذي هو أحد تلاميذ السيد المسيح وهو الذى أدخل المسيحية إلى مصر عام ٦١م وكانت البداية التى هزت عرش عبادة الأوثان الرومانية فى مصر الأمر الذى أثار غضب الحكام و أوجسوا خيفة منه فقرروا أن يتربصوا له ولا يدعوه يفلت من أيديهم هذه المرة، وحدث أن كان يوم عيد القيامة سنة ٦٨م موافقا لليوم الذى يعيد فيه الوثنيون لإلههم سيرابيس الذى كانت عبادته من أكثر العبادات شيوعا فلما تجمعت الجماهير للاحتفال فى معبد سيرابيس يهجم الحكام على القديس مرقس وما إن انتهت

شعائر الاحتفال بالعيد حتى خرج الوثنيون مندفعين نحو الكنيسة وربطوا حبلا حول فى وسطه ثم أخذوا يجرونه من شارع إلى شارع وفوق الصخور الصماء وهم يصرخون ، جروا هذا الضخم الور إلى الجسم إلى السجن، وبينما هو ملقى فى حبسه بين حى وميت رأى رؤيا تشجعه على الأستمرار فى جهاده، وفى اليوم التالى جاء الوثنيون إلى السجن وربطوا الحبل هذه المرة حول عنق القديس وأخذوا يجرونه على الأرض كما فعلوا به فى اليوم السابق فلم يلبث رأسه أن انفصل عن جسده ونال إكليل الشهادة ليكون دمه هو أول دم سقى هذه التربة العريقة وباكورة لدماء الشهداء.

وتوالت الدماء التى عرّفنا بعضا آخر منها فى الصفحات التالية من الكتاب.

ومن القديس مرقس إلى شهيد يعتبر حالة خاصة نظرا لصغر سنه حتى إنه لقب بالطفل المعجزة ، وألا وهو الشهيد فيلوثاوس.

لم يكن الشهيد فيلوثاوس من أسرة مسيحية، بل على العكس كانت أسرته وثنية عريقة فى وثنيتها .. أسرة غنية جدا ، ولكن غناها أعماها عن طريق الحق، فقد اتخذت من المال وسيلة لتمجيد الشيطان فكانت تعبد ثورا ضخماكانت تمتلكه،

عبدت المخلوق الحيوان الأعجمى وتركت الخالق العظيم، وتكريما لهذا الثور المعبود فقد أطلقوا عليه إسم أسمار كطس وتفسيره الزبرجد.

لقد أمعنت الأسرة الضالة فى ضلالها، فوالد فيلوثاؤس كان يدعى رانديانوس، ووالدته تدعى ثاؤدورة كانا يقدمان فروض العبادة والتبجيل إلى هذا أسمار كطس، ففى كل صباح تبكر الزوجة ثاؤدورة بعجن ثلاث أكيال من الدقيق بالزيت والعسل والنبيذ والزبيب وبعد أن يتم لها ما أرادت، تحمله مع زوجها رانديانوس إلى حيث الثور كطس، فيلتهم الثور هذه الوجبة الدسمة وتسعد الأسرة البائسة عندما تشاهد ثورها المعبود يخور من كثرة الأكل وحينئذ يتقدم رانديانوس متهيبا إلى الثور ومعه قارورة الطيب ويدهن به جلده حتى شبدد وتنفى رائحة الطيب رائحة روث الثور، وكان الرجل يقوم بهذه العملية ثلاث مرات يوميا كأنها فروض صلاة، وكما كان لكل إله معبد فقد أقامت الأسرة لمعبودها الثور مكفين أحدهما للصيف والآخر للشتاء، فهذا النوع من الآلهة لا يملك أن يدفع عن نفسه حر الصيف أو برد الشتاء، كما طوقوا عنق الثور بطوق من الذهب ووضعوا زوجا من الخلاخيل الذهبية فى أرجله الأربعة فأصبح يختال برنين الذهب كلما سار فى وسط المكان،

ومبالغة فى تكريم هذا الحيوان الأعجمى فقد عين رب الأسرة ثلاثة من العبيد ليكونوا فى خدمة هذا العجل الإله، وهكذا كان فيلوثاوس يعيش فى جو مسمم خانق يفوح منه الضلال والجهل.. ولكن ماذا يمكن أن يحدث؟ لقد كان فيلوثاوس صبيا جميل المحيا . تنظر إليه كأنك تنظر إلى ملاك طاهر لا تمل من النظر إليه ، ولم يكن حسن المنظر فحسب بل كان قلبه يشع نورا عجيبا ، فقد عافت نفسه هذه الخرافات وإشتاقت لمعرفة الحق...

ومن العجيب أن يكون فيلوثاوس طفلا فى التاسعة من عمره ويدرك بقلبه الطاهر أن ما يعمله والداه من تقديس لهذا العجل إنما هو ضلال مبين ولا معنى له ، فما هو الفرق بين هذا العجل وأى عجل آخر يحرث المحراث والنورج ثم يذبح ويؤكل لحمه آخر المطاف؟

لا يعقل أن يكون هذا الحيوان الذي يأكل ويخور وينام هو الاله الخالق المعبود. أسئلة كثيرة ظلت تتراقص أمام الطفل فيلوثاوس ولا يجد لها جوابا..!

وجاء عيد ميلاد فيلوثاوس العاشر واحتفى والداه وبالمناسبة السعيدة فقرار أن يتوجا الاحتفال بتقديم ابنهما المروض للعجل سمار كطس ، فطلبا منه أن يتقدم ويبخر أمام

العجل، فنفر منهما ورفض الإمتثال إلى هذا الأمر وجرى مسرعا، وأسرع والده بإحضاره فلما أمسك به وجده يبكى وهو فى قمة إنفعاله وجسمه يتشنج من البكاء، وهنا تدخلت ثاؤدورة الوالدة وقالت لزوجها أتركه فهو لا يزال طفلا صغيرا لا يعى شيئا، وعندما يكبر سيقوم بفروض العبادة للإله أسمار كطس فتركه والده وهو يربت على كتفه حتى يكف عن البكاء.. وأى بكاء !!

كان فيلوثاؤس يلعب كثيرا مع بعض الأطفال المسيحيين فى مدينة أنطاكية وكانت تترامى إلى مسامعه منهم كلمات لم يفهم منهم شيئا كلمات تختص بحقائق الإيمان المسيحى ولم يكن يدرك لها معنى بعد، لقد كانت المسيحية لا تزال تكافح الوثنية فى عهد الملك دقلديانوس، وكان المسيحيون فى أنطاكية يخفون إيمانهم خوفا من الطاغية الإمبراطور، فكان إذا إقترب فيلوثاؤس من جماعة من الأطفال المسيحيين الذين يصلون أو يرنمون سرعان ما ينفض سامرهم ويغيرون حديثهم خوفا من ابن الوثنى الكبير الذى أقام معبدا وثنيا فى بيته لعجل يعبده من دون الله الواحد، وكان فيلوثاؤس يتساءل فى حيرة عن حقيقة الإيمان المسيحى.

وبعد حادث عيد ميلاده العاشر الذى هزه من الأعماق

تحركت مشاعره فى عنف نحو معرفة الإله الحقيقى، وكان صباح وأشرقت الشمس كعادتها كل صباح، وكان فيلوثاؤس مستيقظا يفكر فى الإله الخالق، فلما أبصر الشمس فى بهاء شروقها ونور القمر ينحسر خجلا أمام الضوء الباهر، وأضواء النجوم تتلاشى أمام ظهور الشمس، نظر إلى الشمس نظرة إعجاب وحيرة وخاطبها قائلا:

أيتها الشمس هل أنت هو الله الذى يجب أن أعبدك أم لا؟ وظلت الشمس على صمتها الرهيب بل مرت فى هذه الساعة سحابة حجبت قرص الشمس فتوارت خلف السحابة فتزعزع للتو إيمان فيلوثاؤس فى الشمس وقال لها إذا كنت لست الله فمن هو الله؟

لقد كان فيلوثاؤس يبحث عن الحقيقة فخرج هذا السؤال من أعماق قلبه ووصل إلى الإله الحقيقى، الله الخالق.

وشاءت إرادة الله أن يعلمه عن الحقيقة من خلال رؤى وأحلام وقد عثر أخيرا على كنز المعرفة.. على الإله الحق..!

وأصبح لا يكف عن الصلاة والصوم والإحسان إلى الفقراء ومحبة كل الناس حتى الأعداء، فأصبح مسيحيا بكل ما تحمله الكلمة من معان.

وجاء عيد ميلاد فيلوثاؤس الحادى عشر، وأصر أبواه على

أن يقدم البخور في هذا العيد إلى العجل المقدس، وقال له والده: ياولدى فيلوثاوس لقد كبرت وها أنا أراك تفيض جمالا وحيوية... وأنت الآن فى سن الحادية عشر التى ينبغى أن تقدم فيها السجود إلى أسمار كطس فى الحفل الكبير عقب وليمة عيد ميلادك، وإن الأهل لينتظرون هذا المشهد العظيم، مشهد تقديم ولى عهدى البخور لإله العائلة المحبوب. فأجاب فيلوثاوس بوداعة: «علمني يا والدى كيف أقدم السجود والبخور، ففرح الوالد كثيرا بهذه الإجابة معتقدا أن ابنه قد كبر وأصبح عاقلا وناضجا فهش فى وجهه وقبله قائلا الأمر سهل جدا يافيلوثاوس، فما عليك إلا أن تتقدم إليه وتضع بعض البخور فى المبخرة وتبخر أمامه ثم تسقيه قليلا من السيرج والنبيذ قدام المدعوين ثم تقرب له قربانا وهو الدقيق السمين المعجون بالزيت وعسل النحل والنبيذ، وتقول له وأنت تقدم له القربان: يا أسمار كطس أسألك أن تعطينى أموالا طائلة فإن فعلت كل هذا ياقيلوثاوس فإننى سأزوجك من بنت الأمير وهو قريبنا وهو غنى جدا فقال له القديس: «أفعل كل ما قلته...!!»

وجاءت اللحظة الحاسمة بعد اللحظة العظيمة فتقدم الفتى الصغير وخلفه والداه والعبيد يحملون القرابين للعجل

المقدس تقدموا إلى حيث يربض أسمار كطس. فتقدم بعض العبيد يمسحون وجه العجل بإسفنجة مبللة بالطيب ويمسحونه بقطعة من الحرير، وكان منظرا مضحكا حقا حتى إن القديس الصغير ضحك من جهالة القوم، ثم نظر نحو السماء وأخذ يصلي وأطال في صلاته حتى تعالت أصوات الحاضرين.. قائلين تقدم يافيلوثاؤس العزيز...

تقدم وبخر ! وتقدم فيلوثاؤس لا ليبخر كما ظن الجميع أنه سيفعل، بل تقدم إلى العجل وقال له بصوت عال:

«قل لي أيها العجل، هل أنت الإله الذي ينبغي أن أسجد له؟ ولدهشة الجميع أنطق الله الثور فقال، لا...لا ؟؟؟ لا ياسيدي فيلوثاؤس عبد الله عبد الله الحي.. لست إلها ولا أستحق أن تسجد لي، بل أنا الذي أسجد لك ياقديس الله! وبالفعل سجد العجل أمام فيلوثاؤس ثم وقف العجل ووثب على والدى القديس فنطحهما وصرعهما في الحال وخيم الصمت برهة على القاعة ثم تقدم فيلوثاؤس من العجل الهائج ولدهشة الجميع استسلم له دون أدنى مقاومة فأمسكه من قرونه وأمر العبيد بقتله وتقطيع جثته وحرقها وذر رمادها في البحر فنفذ العبيد كل أوامره، وأثناء قتل العجل نقل العبيد جثتى والدى فيلوثاؤس إلى غرفة داخلية حيث سجيا على فراش.

واجتمع الأهل والأقرباء يقدمون العزاء إلى فيلوثاؤس الصغير، ولكن أى عزاء هذا ؟ لقد مات والديه بعيدين عن الإيمان، ولا شك أن مصيرهما الحتمى هو الجحيم فماذا يفعل؟

وانحنى فيلوثاؤس على ركبتيه يصلى وينتحب على والديه وشاء الله أن يعيدهما إلى الحياة فللوقت عادت الروحان إلى الجسدين بأمر الله وقام الوالد و الأم من الموت وشهق الجميع من هذا المنظر العجيب، وتقدم فيلوثاؤس من والديه وقال لهما أن الله أراد أن يرجعا من الموت فقام والده ووالدته يعانقون ويقبلون إبنهما.

فاستفسر منهما فيلوثاؤس عما حدث لهما وعما عايناه فى رحلة الموت هذه فأخذا يشرحان له وللحاضرين قائلين:

« لقد نطحنا هذا العجل اللعين الذى أعمانا الشيطان حتى نعبده ، فلما متنا وجدنا الموت بأشكال مفزعة جداً، ثم نقلنا بسرعة رهيبة إلى الجحيم وياله من جحيم... لا توجد كلمات على الأرض تستطيع أن تعبر عن العذاب الذى وقع علينا فى الجحيم إنها نار لا تطفىء ودود لا يموت، آه لو شاهدتم كتل النار واللهب، آه لو شاهدتهم الدود المخيف، آه لو شاهتم وجوه ملائكة الجحيم... آه لوشاهدتم الشيطان وجنوده وهم

يتعذبون فى نار الجحيم .. هل تصدقون أن العجل كان يشترك فى تعذيبنا ويقول لنا ، ذوقوا العذاب معي لأنكم عبدتمونى أنا الشيطان وتركتم عبادة الله الواحد ، أن الجحيم موضع عذاب لا يطاق وهو فوق طاقة البشر أن تصفه ، لقد قاسينا الأهوال حتى وهبت الله أن العوده من الموت بفضل صلواتك وهاإننا مسيحيون نؤمن بإيمانك وآخذا يصنعان الخير ويوزعون أموالهم على المساكين والفقراء والأرامل والأيتام كما أعتقوا عبيدهم وأطلقوهم أحرارا وعاشوا فى مخافة الله حتى حانت ساعة الانتقال من هذه الدنيا فانتقل إلي السماء الأب أولا وبعده بشهرين لحقت به الأم. وظل فيلوثاؤس مواظبا على الصلاة والصوم وفعل الخير.

وذاع صيت القديس فيلوثاؤس وانتشرت أخباره حتى وصلت إلى مسامع الإمبراطور دقلديانوس الذى استشاط غضبا وأمر ثلاثة من الأمراء بالتوجه بفرقهم العسكرية لإحضار هذا الصبى فيلوثاؤس وسرعان ما توجه الجند بقيادة الأمراء الثلاثة إلى حيث يوجد القديس فتوجهوا بقيادة الأمراء الثلاثة إلى حيث يوجد القديس فوجدوه يصلى فلم ينبسوا ببنت شفة حتى أكمل القديس صلاته وتقدم القادة ، وبكل احترام أخبروا القديس بأمر الإمبراطور بإحضاره فقام من

فوره معهم وتوجه إلى حيث يسكن الملك الطاغى.

وما كاد الإمبراطور دقلديانوس يرى فيلوثاؤس حتى أعجب به فأكرمه كثيرا وأمره بالجلوس فى حضرته وهو يقول له : أيها الصبى الجميل أرى انك من جنس الملوك ، فلم يجبه القديس بكلمة... فكرر الإمبراطور محاولته للتقرب من الصبى وقال له، أيها الصبى المحبوب، لم لا تخاطبنى.. ألا تعرف من أنا؟

فأجاب فيلوثاؤس ، أنا لا أخاطب ملكا وهبه الله الملك فترك الله وعبد الشيطان والأصنام ، فأجاب الملك ، إن الآلهه هم أصحاب الفضل على فهم الذين أعطونى الملك وهم الذين يعطوننى النصر فى حروبى ، فكيف لا أعبد آله النصر؟ ، فرد القديس، ، إعلم أيها الملك أن الشياطين والأصنام لا يقدرون أن يعطوك شيئا ولا حتى النصر، بل على العكس هم أسباب الحروب وهم وراء كل كارثة تحل بنا، وعلى العكس فإن النصر يتحقق بسبب أن بعض جنودك أصبحوا مسيحيين سرا ومن أجلهم فقط يعطيك الله هذا النصر. وعندما سمع الإمبراطور هذا الكلام إهتاج وأخذ يزمجر وهو يقول للصبى هاقد صدقت الأخبار التى جاءتنى عنك . ولكن فيلوثاؤس لم يتزعزع ولم ينكر أو يخف حتى إيمانه بل دافع عن إيمانه بقوة وبصلابة لا

تناسب سنه الصغيرة وأخذ يهاجم آلهة الملك الصنمية قائلا «إلهتك.. ما هى هذه الآلهة التى تصنع من الأحجار والمعادن والجواهر ومع ذلك تعتقد أنها آلهة هل يعقل ذلك أيها الملك؟» فقال الملك بصوت كالرعد «أتجرؤن أن تقولوا أن ابوللون العظيم ليس إلها!؟ إننى أقف أمامه وأسأله عن أى شىء فيجيبنى، إنه الإله العظيم وكل من يكفر به يستحق الموت» وأخذ الملك يجدف بكلام وقسوة بينما كان فيلوثاؤس يشرح له حقائق الإيمان المسيحى فرد الملك: «إننى أعرف كل حقائق الإيمان المسيحى وأكمل الملك: «إننى أعرف كل الخرافات التى ينادى بها المسيحيون وإننى أريد أن أظهر لك سخفها وأن أبوللون هو الإله العظيم.. فيافيلوثاؤس إنى أراك صبيا صغير السن وأعتقد أن بعض الدجالين قد أثر على عقلك الصغير، وها أنا أسامحك على ما قمت به من دعاية مسمومة ضد الآلهة، ولكن على شرط واحد، وهو أن تترك هذه الترهات عن إلهك وتسجد وتبخر للإله أبوللون وبقية الآلهة العظام، فإن امتثلت لأمرى سأجعلك رئيسا وإبنا من إبناء الملوك، وإن عصيت أمرى فالويل لك من غضبى وعذابى.

ولم يرتجف فيلوثاؤس مما جعل الإمبراطور يصر على أسنانه غيظا وغضبا وأمر بالبدء فى تعذيبه وبدأت سلسلة

طويلة من العذابات... ويا لها من عذابات.

أشار أحد الجلوس علي الإمبراطور بأن المسيحيين، سحرة ولابد من فك هذا السحر بواسطة ساحر عظيم، فأمر بإحضار ساحره الكبير، فلما حضر الساحر قال له الملك: «أيها الساحر لقد شاهدت من هذا الصبى سحرا فظيعا، فقد كنت ممسكا بتمثال ذهبى للإله ولم أشعر إلا وهذا الصبى يتمتم بالتعاويذ على التمثال ولدهشتى فقد وجدت الذهب يسيل وينسكب على الأرض وتتناثر الجواهر فى كل مكان، فاسقه كأس الموت» وضحك الساحر وهو يقول: «هل هزل السحر حتى يؤذيه ولد صغير؟...

إنه لن يحتمل فى يدى دقائق يامولاى، ثم أخرج قنينة وسكب منها سائلا فى كأس وأخذ يقرأ عليها التعاويذ ثم تقدم بالكأس إلى القديس وناوله إياه وهو يقول للامبراطور: إنه سم زعاف يامولاى ونقطة منه كافية أن تقضى على أقوى رجل فما بالكم بهذا الصبى المغرور.. إشرب من الكأس... إشرب الموت.

وأخذ فيلوثاؤس الكأس وبه السم ودون أن ترتعش يداه رسم على الكأس علامة الصليب! ثم شرب الكأس حتى الثمالة، محلق الجميع فى القديس وإنتظروا أن يسقط ميتا ولكن إنتظارهم طال ولدهشتهم الفائقة وقع الساحر ميتا أمام

الجميع وكانت النتيجة أن اهتاج الإمبراطور والتفت إلي فيلوثاوس وهو يصرخ فيه قائلا مرذول أنت أيها الصبى اللعين ، سأريك كيف يكون العذاب أيها الساحر الماكر.. أيها الجنود أعلوا بالسياط علي جسم الفتى الصغير.. حتى سال الدم وتناثر منه اللحم، ثم جاءوا بالجير الحى والخل ورشوه على الجروح حتى يزداد الألم ويصبح غير محتمل لطاقة الإنسان وفى قيمة الألم يدعوه الإمبراطور إلى السجود والتبخير للأصنام ، ولكن القديس رد عليه قائلا أنا أترك عبادة الله الحى وأبخر للأصنام من أجل هذا العذاب ، لا.. لا، حاشالله! حينئذ أمر الإمبراطور أن يوضع على بطن القديس حجر ضخم لا يستطيع رفعه إلا أربعة رجال أشداء ، فلما فعلوا ذلك ظن الجميع أن حياة القديس قد إقتربت من نهايتها وأنه لن تمضى إلا دقائق معدودات إلا ويلفظ أنفاسه فتركه الإمبراطور وحاشيته فى السجن وهو يظن أنه قد مات، ولكن الله شفاه من جراحاته وأبقاه حيا، وأرسل الأمبراطور من يستدعى فيلوثاوس بعد أن علم لم يمت، جاء صحيحا معافى لم يمسه شر فقال الملك هذا من سحر المسيحيين، ولكنك لن تسخرنى بإسم إلهك فرد القديس بسرعة «سينالك غضب عظيم من الله أيها الملك الكافر لأنك تفترى على خالقك العظيم.. أصمت

ولشدة دهشة الجميع فقد وجدوا الإمبراطور يحاول الكلام فلا يقوى عليه، فقد انحبس صوته ، وتوسل الحاضرون إلى القديس الطفل أن يصلي لأجل الملك فصلى القديس وتوسل إلى الله أن يشفي الإمبراطور فاستجاب الرب لصلاته وإنحل لسان الملك.

غير أن الإمبراطور بدلا من أن يعلن إيمانه فقد إزداد غضبا وعنادا وقال للقديس سوف نرى إذا كان هذا السحر الأسود ينفعك... سوف أعذبك بأشد ألوان العذاب وأمر بأن يضرب القديس الطفل على فمه حتى يبطل سحره.. فتقدم عملاق شرس وضرب القديس على فمه حتى سقطت أسنانه وسال الدم غزيرا من فمه وأسرع الجند وحملوه إلى السجن وهناك أخذ القديس يصلي بعقله وقلبه لكي يشفيه الله فاستجاب الله لصلاته وعاد صحيحا كما كان، وتكررت قصة العذاب وتفنن الطاغية في إختراع صنوف العذاب ولكن قلب المؤمن لا يرهبه شيء فظل القديس صامدا قويا، وأخيرا تظاهر القديس بأنه قد قبل السجود للأصنام ، وسر الإمبراطور أيما سرور بذلك وأمر بدعوة الناس لمشاهدة الحدث العظيم، وإجتمع الجميع أمام الأصنام وطلب فيلوثاؤس أن يقف أمام كل صنم من السبعين صنما كبير كهنته، ويقف كاهن عن يمين كل صنم

والكاهن الآخر عن يساره، وانتظر الجميع لحظة سجود فيلوثاؤس، غير أن القديس وقف مرفوع الرأس وأخذ يصلي وبعد أن صلى قال بصوت مرتفع «أيتها الأصنام السبعون، أنا آمر الشياطين الناطقة فيكم أن يقتل كل صنم الكاهنين اللذين يخدمانه.

وللوقت شاهد الناس الأصنام تقتل الكهنة وتسقط على وجوهها.. وهنا تعالت الأصوات من الساحة «تبارك الله إله القديس فيلوثاؤس ونحن جميعا نعلن إننا مسيحيون.. ! وهنا فقد الإمبراطور وعيه فأمر بإغلاق أبواب المعبد وقتل كل الموجودين فاستشهد قرابة سبعمائة وأربعين شهيدا وسقط ضمن من سقط بالسيف القديس الطفل فيلوثاؤس.

ومن الطفل فيلوثاؤس ننتقل إلى قصة أخرى من بطولات الأقباط المصريين ألا وهي قصة الشهيدين ديسقورس واسقلابيوس وقد كان ديسقورس قسا بينما كان أخوه اسقلابيوس شماسا قد استشهدا ضمن ثمانية آلاف ومائة وأربعين شهيدا من شهداء أخميم. فتعال معنا عزيزي القارىء لنتعرف معا على قصة هذين البطلين الشهيدين.

ولد القديسان ديسقورس واسقلابيوس لأب محب لله هو أمونيوس من أهل أخميم وقد منحه الله الغنى فكان يمتلك

ذهبا وأغناما وأبقارا ومواشى وعبيدا ودماء ، وقد قام والدهما أمونيوس بتربيتهما تربية حسنة ، وفى سن الخامسة عشر عاما توفيت والدتهما ، وبعدها بقليل توفى والدهما فصارا وحيدين يمتلكان من المال الكبير وعندما بلغا من العمر واحدا وعشرين عاما اتفقا على رأى واحد أن يترهبا ويقيما فى البرية الداخلية ويقيما هناك بقية أيام حياتهما ، فقاما بتوزيع كل ما يملكانه على الكنائس والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ولم يبق لهما شىء سوى اليسير لحاجتهما وتمت سيامة ديسقورس قسا واسقلابيوس شماسا وكان ذلك عندما نزلا إلى مدينة أخميم ليبتاعا طعاما لهما ثم اختار أن يسيرا في الدرب الرهباني، وعندما بدأ اضطهاد دقلديانوس كان الأب ديسقورس يعظ ويثبت الشعب من ذلك الاضطهاد ومنذ أن بدأ نشاطه فى الوعظ عزم الجميع ولا سيما أهل أخميم أن يضعوا الموت والشهادة نصب أعينهم وعكف كل منهم، الرجال والنساء والأطفال على العبادة والصلوات وذللوا أنفسهم بالسهر والصوم وتزينوا بالطهر والعفاف.

وكان أريانوس هو الحاكم الخاضع للملك دقلديانوس والمتولى حكم صعيد مصر حتى أسوان ، فلما وصله مرسوم الملك فرح فرحا عظيما لأنه كان وثنيا ، وكانت أول مدينة فى صعيد

مصر يجب أن ينتشر فيه مرسوم الملك هى أخميم وقد تضمن المرسوم أيضا فتح البراري العظيمة فى الديار المصرية وينصب فيها الصنم المسمى «بمين بجوس»

فتوجه أريانوس هو وجنوده وخيله ورجاله إلى أخميم وكان بصحبته الأب الأسقف أنبا بنوريون وأسقف أنصنا موثوقين، ولما علم الشعب بوصوله خرج إلى لقائه عبارات مدينة أخميم وقسوسها وشمامستها وجماعة شعبها، وقد بحث أريانوس عن أسقف كرسى أخميم الأنبا أوضوجيون فأخبروه أنه تنيح أى توفى قبل وصوله إلى المدينة بثلاثين يوما.

وعندما عبر باب المدينة قرأ عليهم جميعا مرسوم الملك، وبعد سماعهم هذا المرسوم صرخوا جميعا بصوت واحد نحن لا نكفر أبدا بخالقنا الذى خلق السماء والأرض وجميع المخلوقات والموجودات، وإننا لا نعبد الأوثان الشيطانية.

من هو دقلديانوس ماهو إلا راعى المعز الكافر ثم وجهوا له الشتائم وابتعدوا عنه متفقين برأى واحد بأن يموتوا جميعهم شهداء، ولما رأى أريانوس كثرة الصياح والضجيج وكاد الشعب يضيقون عليه الخناق ويحتجزونه خرج إلى شرق المدينة مع جنوده ورجاله ونزل بمكان يسمى المعسكر وهو شديد الحقد والكراهية على المسيحيين، واستقصى عن كهنة المدينة وخرجوا

إليه وجاء إلى باب المدينة الشرقى وكان من بين هؤلاء كاهن عظيم وفيلسوف قدير اسمه أبو اسكنده لما علم بأمر الوالى أريانوس لم يستجب لأوامره ولم يوافق زملاءه الكهنة، وأما كهنة البرارى فقد زينوها بكل زينة حسنة ونصبوا الصنم العظيم« بمين بيجوس، وقربوا له القرابين والضحايا ووزع عليهم الوالى ذلك اليوم جوائز ثمينة وهدايا كثيرة هي التى سبق أن أرسلها الملك دقلديانوس لتوزيعها على كهنة البرارى، ثم تقصى الوالى عن الكاهن الكبير أبى اسكنده وكان يتملقه ويصفه بأنه ذو الاسم الحسن وأنه يرجو مقابلته وطلب من باقى الكهنة أن يخبروه بذلك، ولما علم أبو اسكنده بذلك رفض مقابلته وظلوا يحثونه على إجابة طلبه إذ كان قد أنعم عليهم بهدايا جزيلة أهداها لهم من قبل الملك دقلديانوس إلا أن أبا اسكنده نصحهم كما حذرهم قائلا:

بأن الوالي مزمع أن يغلق جميع البرارى وسيبطل عبادة الأوثان من هذه المدينة وفقا لنبوة وحكمه أبيه وفلسفة جده ابن فاج وهو أكبر حكماء هذه المدينة كما أنه رئيسها.

وقبل دخول الوالي أريانوس فى الإيمان المسيحى عبر إلى البرارى وخرج منها إلى المعسكر ونزل فيه وأقام به خمسة أيام وهو يفكر فى نفسه كيف ينكل بالنصارى وكهنة البرارى

المخالفين لأمره. فقد قرر بأن يحفر خندقا كبيرا شرق المعسكر المقيم به بالقرب من باب المدينة المسمى بباب الحدود ويملأ ذلك الخندق بخشب السنط ثم يوقد فى الخشب ويطرح النصارى فى هذه النيران ليحرقوا، فما كان من القديس ديسقورس إلا أن قام يعظ الشعب بكلام الله باللغة اليونانية (لغة المسيح ع س) والشماس اسقلاريوس يترجم باللغة القبطية (لغة مصر).

وأبوه اسكنده أيضا أخذ يعظ بكلمة الله لجماعة كهنة البربا الذين كانوا معه وعددهم سبعون فردا وجماعة أخرى كانوا معهم فصاروا جميعا مسيحيين واتفقوا مع جماعة منهم أن ينالوا إكليل الشهادة.

وفى ليلة عيد الميلاد المجيد سمع الأب الأسقف بانوريمون أن جماعة النصارى قد اجتمعوا بكنائسهم ليعيدوا (يحتفلوا) بالعيد فطلب من أولاده المسيحيين أن يطلقوه فحلوه من وثاقه وجاء إلى الكنيسة أب سوتير وخرج القديسان ديسقورس واسقلابيوس إلى لقائه واحتفلوا بالعيد.

وعندما علم أريانوس الوالى من جنوده بما حدث حنق وغضب غضبا شديدا وركب هو وجنوده حاملين سيوفهم وأسلحتهم ووصلوا حتي باب الكنيسة البحرى، وتطلع الوالى من

الباب فوجد الكنيسة زاخرة بأبنائها فطلب أن يقابله نائب أو إثنان يمثلان الشعب فخرج إليه رئيسان هما أبو أجفار والآخر أبو وانين فصاح فيهما الوالى بانتهار وغطرسة قائلا :

كيف تجاسرتما على مخالفة أوامري وعدم تنفيذ مراسم الملك واشتركتم مع هذه الجموع التى بالكنيسة وقمتم بأعمال مخالفة لعبادة الملك، هيا انطلقوا مع الجمع الذى بالكنيسة الآن واذهبوا إلى البربا العظيم طاعة لأوامر الملك وقربوا الضحايا للإله «بعين بجوس» واعدلوا عن عصيانكم وعدم طاعتكم.

فلما سمع هذان الرئيسان الموقران وعلم باقي الشعب أوامر الملك أجابوه قائلين بروح واحدة: اسمع يا زريانوس إننا جميعنا وأهل مدينتنا مسيحيون ولن نلتفت إلى أوامر ولن نخضع لمراسيم ملكك الكافر راعى الماعز فى بلادنا ومهما أردت أن تصنع بنا شرا فنحن مستعدون للموت.

فلما سمع الوالى هتافات الشعب خاف أن يقتلوه فأمر جنوده بدخول الكنيسة وقتل جميع المسيحيين فيها دون شفقة على صغير أو كبير أما الكاهن أبو اسكنده وجماعة الكهنة الذين تنصروا فقد ذبحوهم مثل الخراف، وأما أسقف أنصنا وأربعة وعشرون راهبا فقد أوثقوهم وأذاقوهم أشد أنواع العذاب،

وبعدها صاح القديس ديسقورس على جميع الشعب قائلا :

تشددوا وثبتوا قلوبكم على الجهاد الصالح! فبدأ الجنود يقتلون الشعب ويفتكون ويفرقون أعضاء بعضه ، أما البعض الثالث فهشموا عظامهم بقسوة قلب ، وقد أدخلوا الخناجر فى حناجر البعض ، وقطعوا أمعاء بعضهم، وقلعوا عيون البعض وشقوا بطون بعضهم وانفجرت أمعاؤهم بدون رحمة.

وقد بلغ عدد الشهداء فى ذلك اليوم سبعة آلاف وأربعمائة شهيد.

أما الأنبا بارنوريون أسقف أنصنا وديسقورس وأسقلابيوس الأثنان والعشرون راهبا فقد جاءوا أمام أريانوس الوالى بصحبة الجنود.

وما أن رآهم الوالى آريانوس حتى رفع بصره وابتدأ يوجه إلى الأسقف ألفاظ التوبيخ والتأنيب قائلا له:

إنى جئت بك من أنصنا إلى هنا لكى لا تعود إلى عبادتك الأولى مرة أخرى ولكن منذ أن حضرت إلى هذه المدينة إلا وقد نفثت فيها سموم الفتنة والشغب الأمر الذى اضطرنى إلى سفك دماء الكثيرين ولكنى أقسم أمامك بحياتى! بإننى سوف لا أقتلك بل سأوثقك وأشهر بك الصعيد كله وأرجع بك إلى أنصنا بلدك لأوقع عليك أشد الجزاء لأفعالك الرديئة! ثم أمر أحد

الجنود أن يتحفظ عليه (بحتجزه) ثم بدأ الوالى أريانوس يلاطف القديسين ديقسورس أو اسقلابيوس والرهبان الذين معهما فنظر إليهما بإبتسامة رياء وخداع وقال لديسقورس تقدم، ثم سأله ديسقورس عرفنى من أنت وأنا أعرفك من أنا، فأجاب الوالى قائلا، ياديسقورس أرى أن اسمك جميل وحسن فاصطنع بمقتضى اسمك وأعلم بأننى أتولى إصدار الأحكام واسمى أريانوس أرسلنى الملك من أنطاكية إلى صعيد مصر لكى ألزم جميع المسيحيين أن يقربوا الضحايا للآلهة العظيمة، والآن قد بلغنى عنك أنك قد غيرت قلوب أهل هذه المدينة عن عبادة الآلهة! الأمر الذى اضطرنى إلى سفك دمائهم اليوم، وإنى أطالبك الآن أن تضحى لآلهتنا وأنا أسامحك عما صدر منك بل سأخلع عليك كرامات جزيلة لأنه إذا ضحيت لآلهتنا العظيمة وسيعود عليك هذا بالخير والسعادة فأجابه القديس ديسقورس بشجاعة قلب نادرة:

سأعرفك من (هو) أنا، فأبى كان من كبار رجال المدينة ويدعى آمونيوس وإننى خرجت فى هذه الدنيا وترهبت لله فى البرارى والقفار وأخذت عهداً على نفسى أن أثبت الشعب على الايمان الصحيح، فقال له الوالى خير لك ياديسقورس أن تطيع أوامرى لتريح نفسك ونفوس أصحابك وسوف أقيمك رئيسا

للكهنة على البربا التي لإله مدينتك بعين بجوس نظرا لشرف جنسك وحسبك، ونسبك. فأجابه ديسقورس قائلا، أنت يا أريانوس سوف تعلو درجتك وتسمو على علو السماء، سوف تدخل في الإيمان وسوف تندم على ما فعلته بالمسيحيين وأيضا سوف تتذكر حديثي هذا ! وقال له الوالي، لماذا نزلت إلى العالم وأنت راهب زاهد ولماذا تجمع الجموع وتقيم هذه الفتن وتدعي بأنك ترتقي بي إلى السماء فأجابه ديسقورس قائلا إسمعني لأخبرك بسيرة رهبنتي وشقيقي إسكلابيوس، لقد رحل والدي عن العالم وكذلك والدتي بهذه المدينة أخميم وكان والدي غنيا وقد ورثت مع شقيقي كل ما يملك والدي وعندما بلغنا من العمر ما يقرب من إحدى وعشرين سنة وزعنا كل ثروتنا على الكنائس والفقراء والمساكين ولم يبق لنا سوى اليسير لحاجة الجسد ثم خرجنا إلى الجبل ولبسنا زي الرهبنة عند شيخ قديس منذ خمسة وأربعين عاما ونحن مقيمان في البرية الداخلية مع هؤلاء الأخوة الرهبان في قيادة لطيفة وفي أول إقامتنا هاجمتنا الوحوش والهوام والدببة ولكن الإله المتحنن حفظنا وطرد جميع الوحوش والهوام والديب وبعد زمن قليل نزلت أنا وأخي إلى المدينة لنشتري أطعمة لحاجة الجسد فألزمنا أكابر المدينة بأن

يرسمونى قسا وأخى شماسا وقد عزمنا بعد الرجوع إلى معبدنا أن ندخل إلى داخل البرية ونبعد عن هذا المكان فتراءت لنا رؤية بعدم مبارحة هذا المكان لأنه بعد قليل فإن إخوتنا المسيحيين بالمدينة كان علينا أن نشدد عزمهم ونثبت إيمانهم متى حل الإضطهاد ونشجعهم على أن يتمسكوا بالصبر والاحتمال لكي يكملوا جهادهم ولهذا نزلت أنا وأخى من الجبل ليس لإشعال الفتن ولكن لهداية هذه الجموع الكثيرة وتقويتهم ليحتملوا الآلام والعذابات على يديك أيها الوالى حتى يستشهدوا وأخذ يعظ الوالى أريانوس عن الإيمان المسيحى فقال له الوالى : إن كلامك ياديسقورس كله خرافات والأفضل لك الان أن تضحى للآلهة لئلا أوقع عليك أشد أنواع العذاب. لعصيانك وعدم طاعتك وإذا أطعت أنت وإخوانك الرهبان سأطلقكم إلى حال سبيلكم فأجابه هو وزملاؤه الرهبان بفم واحد قائلين : نحن لا نضحى أبدا لآلهتك المرذولة ، وإننا مستعدون لأن نذوق الموت الذى مات عليه جميع إخوتنا ومهما حاولت أن تفعل بنا فنحن نقبله.

فغضب الوالى غضبا شديدا وتملكه الغيظ وأمر الجنود بأن يربطوا ويقيدوا ديسقورس وأخاه إسكلابيوس والرهبان الذين معه بحبال من القنب ، فأحكموا الربط، الأمر الذى نتج عنه

إنفصال أضلاعهم من بعضها ثم أخرجوهم ووضعوهم فى سجن شرقي المعسكر حتي صباح الغد،

وفى صباح الغد يرى الوالى أن ديسقورس واسكلابيوس معافين هما وقدصار ورافاقهما فيجن جنونه ويأمر بأن تقطع بحد السيف رقبة ديسقورس وأما إسكلابيوس وبقية الرهبان فيشطر كل واحد منهم شطرين.

هكذا نرى أن الجهاد لم يتوقف وأن الموت ربما كان يطول عائلات بأكملها ولم يقتصر على فئة معينة بل نجد أنه يطول رجال دين وجنودا وولاة وأناس عادين وأطفال (وشيوخ) ونساء ومن الأخرين الكاهن ديسقورس والشماس إسكلابيوس إلى الأخوين بيروو وأثوم ننتقل لنجد قصة أخرى رائعة من قصص الاستشهاد.

وقد كان الشهيدان بيروو وأثوم فى قرية كانت تدعى قديما تاسمبونى وهى سنباط حاليا بإقليم بوسيرس وهى أبو صير الحالية، وأبوهما يوحنا كان كاهنا يخاف الرب وكذلك أمهما مريم وكانا من الأغنياء جدا فى ممتلكاتها الذهب والفضة ويهملان فى التجارة وبعد شيخوخة صالحة رحل الوالدان وبقي بيروو وأثوم، وكان بيروو حينذاك فى الثلاثين من عمره شجاعا حكيما وسيم المظهر، أشقر الشعر مجعدا، كان جادا محبا

للصلاة والصوم والصدقة ، وكان أنوم شابا شجاعا قوى البنية لطيفا، محبا للكنيسة مضيفا للغرباء، وكان عمره فى ذلك الوقت يناهز الثامنة والعشرين عاما وقد توجه القديسان إلى الفرما لقضاء بعض الأعمال هناك وبينما هما يسيران فى شوارع المدينة إذ أبصرا بعض الجند يحملون جسد أحد الشهداء ليلقوا به فى البحر فتشاوروا ليستخلصا جسد الشهيد من الجند ليكفناه كما يليق به ويحملاه بعدئذ إلى قريتهما وقد قايض القديسان جسد الشهيد بقطعتي ذهب أعطوهما للجنود وأخذ القديسان الجسد بفرح شديد ودفناه بكرامة تليق به، وبعد ثمانية أشهر تشاور القديسان فى أمر الشهادة حين قال أنوم لأخيه ماذا ياأخى ؟ أنبقى قعودا هنا بينما ينتشر الجهاد؟ أن الأكاليل تعلوها مات المجاهدين فلنذهب للإستشهاد حتى نحصل على تلك الأكاليل غير الفاسدة والتى تدوم إلى الأبد.

فقاما ووزعا ما يملكان على الفقراء والمساكين وذوى العاهات ثم صليا وخرجا طلبا للشهادة، ولما وصلا إلى الإسكندرية وبلغا دار المحكمة شاهد الحاكم فى محاكمته المسيحيين فتقدما نحو المحكمة وصاحا جهرا معترفين بإيمانهما قائلين بروح واحدة أيها الحاكم أصغ إلينا باهتمام لأننا نحن المسيحيين المعترفين

بذلك جهرا نحتقر كل الاحتقار أوثانك وملك الكافر وإنهم سوف يهلكون هم وكل الذين يصدقونهم.

وقد كان الوقت ليلا وكان القديسان يتكلمان بلهجة شديدة مما جعل الوالى أرمانيوس الذى عينه ديوكلتيانوس واليا على الإسكندرية يحتاط من ناحيتهما، فأمر بأن يقتادا إلى السجن حيث قضيا الليل كله يصليان.

وفى الصباح جلس الحاكم فى مجلس الحكم وأمر بأن يؤتى إليه بالقديسين ولما أحضروهما أقاموهما أمام الحاكم، فسألهما عن اسميهما وموطنهما وأغراهما بكرامات عظيمة، فقام القديسان بالإقرار بأنهما مسيحيان وإنهما شقيقان من أب واحد وأم واحدة وأجاباه عن اسميهما وسنهما، وقال بيرو: اسمى بيروؤ واسمه أثوم من قرية (سنباط) تاسمبوتى، ثم سألاه عن الإكرامات التى يريد أن يخصهما بها فقال: لو ذبحتما للأوثان فسوف أكتب لسيدى الملك ليسند اليكما وظائف كبيرة فى البلاط الملكى ويجعل لكما إيرادا شهريا ويجعلكما من المقربين الذين يقفون دائما فى حضرته.

ولما رفضا قال لهما الحاكم فى غضب: أراكما عنيدين لا تستحيان وسلام أبوللو قد عيل صبري لأحرقن جسديكما رويدا رويدا أتعصيان سيدى الملك ولا تكرمانى، أكرمتكما وأنتما

تتخاذلان وأمر أن يقوم ثمانية من الجنود بضربهما بأعصاب البقر إلى أن يسيل دمهما على الأرض وبينما كانوا يضربونهما كان القديسان يصليان ، وكان الأكبر يقول لأخيه تشجع يا أخى وكن نشيطا حتى يبوء هذا الكافر بالخيبة والفشل فى عذاباته المسعورة وقد أعطاهما الله قوة فتحملا ما تعرضا له من آلام ، فأمر الحاكم أن يعلقوهما معا على الهنباذين ويمزقوا جسديهما وفتح جنب كل منهما فشجع القديس بيروؤ أخاه قائلا كن نشيطا يا أخى حتى تحوز على إكليل الشهادة.

فتشجع أثوم ورفع عينيه نحو السماء وأخذ يصلى ويناجى ربه وما انتهى من صلاته حتى انكسرت آلة التعذيب وفكت قيودهما مما شجع بعض الموجودين أن يجاهروا بإيمانهم ويصرخوا قائلين حقا إنه لا يوجد إله سوى الله الواحد إله بيرو وأثوم وصرخ القديسان فى وجه الحاكم قائلين : يا لخزى أوثانك النجسة.

- وعندئذ قال الحاكم : يابيروؤ ، هلا قلت لأخيك أن يذبح للأوثان ؟ أرى أنه لا يزال شابا صغيرا رقيق الجسم فلم يعره إهتماما بل قال: أفعل ما شئت فلن يذبح للأوثان.

فحلف الحاكم بأبللو أكبر الآلهة وارطاميس أم كل الآلهة ليسحقن جسديهما الرقيقين ليرى ما إذا كان إلههما يستطيع

أن يخلصهما.

ثم أمر بإحضار سرير من الحديد مرشوق به كمية من المسامير وأمر أن يحمى من أسفل بنار قوية ودحرجوا القديسين عليه حتى نفذت المسامير من جسديهما وبالطبع كان الألم فوق احتمال البشر.. ألم حتى الموت، إلا أن الله لم يتركهما فأتت سحابة وأمطرت فأطفأت النار وكانت بردا وسلاما عليهما وبالرغم من هذا لم يلن قلب الوالى فأمر بإلقائهما فى السجن وأن يكبلا بسلاسل من حديد وأن يضعوا ثقلا كبيرا لكل منهما فوق السلسلة.

وفى اليوم التالى وجد أنهما سليمان صحيحان معافان فصاح فيهما فى غضب للأوثان حتى لا تموتا لقد تعبت من الابقاء عليكما وقال له القديس بيرؤو بالأمس أبقيتنا فلا تبقنا اليوم وإننا نكرر القول بإننا لن نتبع أمرك ولن نذبح لهذه الأوثان ولن نترك إلهنا.

فغضب الوالى أرمانيوس واشتعل قلبه حقدا لهذا الإصرار فى الرفض، وأخذ يتفنن فى تعذيبهما وأمر بأن يثقبوا كعبيهما وأن ينفذوا فيهما حلقات وحبال لكي يعلقوهما على شجرة مرتفعة فمكثا معلقين لمدة يومين، وكان الدم يسيل من فميهما ومن أنفيهما حتى كان كل من يراهما يقول إنهما حتما سيهلكان.

وبعد إنقضاء اليومين قال لأعوانه: قوموا لنرى ماإذا كان

هذان الكافران ما لايزالان على قيد الحياة لأنهما قالا إن إلههما سوف يخلصهما وعندما وصل عند أسفل الشجرة رفع بصره نحو وجهى القديسين وقال : يابرؤو ، يا أثوم ، هل أنتما تعيشان أم مائتان ؟وما كادت هذه الكلمة تبدو من فمه حتى انفكت الحبال التى كان القديسان موثقين بها، ونزلا على الأرض سالمين! ولما رأى الجموع ذلك هاجوا على الوالى الذى خاف وانسحب وأمر بإرسال القديسين إلى والى الفرما لينظر فى أمرهما .

وعندما نظر والى الفرما قضيتهما بدأ بملاطفتهما ووعدهما بالوعود البراقة ظنا منه أنهما قد يلينان ويحيدان عند ثباتهما وينحرفان عن إيمانهما ويبخران للأوثان غير أن القديسين كانا واضحين فى إيمانهما متمسكين به بموقف لا يزحزحه وعد أو عيد فاغتاظ الوالى وبدأ فى تهديدهما قائلا : تقدما للآلهة المجيدة فإنكما لا تتصوران صرامة والى الفرما، وسلام أبللو إذا عصيتما أمر سيدنا الملك فسوف أسوم جسديكما بأشد العذاب ، وتموتان شر ميته وكان مصير هذا التهديد مثل غيره من التهديدات التى كان يتعرض لها الشهداء فقد قابله القديسان بجرأة وثبات وردا على الوالى قائلين لا تحسب أنه بالتهديد تغلبنا فإن الله يحفظنا ولن نتركه أبدا ، وما أفلح والى اسكندرية عندما حاول ذلك، لقد أخزيناه هو وملكه

الكافر وأوثانه المصنوعة بيد الإنسان ولنا رجاء فى أن إلهنا يخلصنا ويعطينا القوة والصبر حتى تنالوا الخزي أضعافا . فاستشاط الوالى غضبا وأمر الجلادين أن يحضروا ملحا ورمادا وأن يوتى بجير حى ومواد حريفة وخل مركز ، وخلطوها ثم صبوها فى فم وأنف كل منهما ، وفى ذلك العذاب الأليم كان الرب يقويهما ويحفظهما فتعالى صياحهما منذرين له وللكه وأصنامه بالخزى وكا ن هناك ثلاثة ضباط من ذوى الرتب العالية عندما رأوا ما حدث خلعوا الأحزمة التي يتمنطقون بها ورموها فى وجه الوالى قائلين لن نكون من جندك بعد، لن نكون من يعذبون الشهداء.

فغضب الوالى وقال لهم أيها الأغبياء وفاسدى الرأى هل إنحرفتم؟ وسلام أبللو وارطاميس لأخذن رؤوسكم بالسيف فرد الجنود قائلين : إن لم تنطق بحكم الموت علينا فالموت لك وسنجرد السيف لضرب عنقك

حينئذ خاف الوالى ونطق بالحكم على النحو التالى : يا نيجير وكرمانى والحبشى مع الأربعين جندى الذين معهم، إذا عصوا الآلهة الأمجاد فإنى امر بقطع رؤوسهم بالسيف وأخذوهم إلى شرق المدينة وكانوا محاطين بمائة جندى وقطعوا رؤوسهم فنالوا أكليل الشهادة.

عندئذ إلتفت الحاكم نحو القديسين بيروؤ وأثوم وقال

لهما: أرضيتم موت هؤلاء الضباط الثلاثة وكذا الأربعين جنديا الذين معهم بسببكم.

فرد القديسان مرارا أعلنا لك كلمتنا وإن كلمة واحدة تكفى الرجل الحكيم أما الحمقى أمثالك فلا تكفيهم كلمات كثيرة.

إنه حتى ولو لزم الأمر أن نقضى بقية الحياة وسط العذابات في هذه المحكمة فلست بمن يستطيع أبدا إقناعنا بترك إلهنا.

فغضب الوالى جدا وأمر أن يضربوهما على الفم بكتل من الحديد حتى تنكسر أسنانهما ثم أمر بقطع لسانيهما ووسط هذا التعذيب رفعا أعينهما نحو السماء في ضراعة حتى ينقذهما من العذاب ويثبتهما على الإيمان ويقويهما على الشهادة الحية له فشفاهما الله بمعجزة أبهرت الوالى والواقفين في الموضع وأراد الحاكم أن يستمر في تعذيب القديسين، ولكن الجمع لم يعطه فرصة أن يؤذيهما، فأمر أن يقتادوهما إلى السجن حتى يتشاور في أمرهما.

وعندما تشاور الوالى مع قواده أشاروا عليه بقتلهما ليتخلص منهما ويتغلب على سحرهما فصدر الحاكم كالآتى : حيث إن الشقيقين بيروؤ وأثوم من سنباط بإقليم بوسيريس قد ارتكبوا كذا وكذا فقد حكمنا عليهما بالقتل وأقرنا الجنود بأن يقتادوا القديسين إلى شرق المدينة لكى يقطعوا رأسيهما ،

ووضع الجنود كمامة على فمى القديسين واقتادوهما إلى شرق المدينة، ولما وصلوا إلى حيث كان ينبغى للقديسين أن يكملا استشهادهما قالا للجنود: إننا نرجوكم يا أخوتنا أن تنزعوا هذه الكمامة لكى نصلى لإلهنا فرفع الجنود الكمامتين من على فمى القديسين وتوجها نحو الشرق وبسطا أذرعيهما وأخذ يصليان إلتفتا نحو الجند قائلين أكملوا ما أمرتم به فإستل أحد الجنود السيف من غمده وقطعوا رأسى القديسين فنالا إكليل الشهادة.

إنها واحدة من أروع قصص البطولة الحقيقية والتى ملئت بها صفحات التاريخ ولن تشعر بالوقت وأنت تغوص فى أحداثها ويخلب لبك سحرها ويقشعر بدنك من فزعها، إنها قصص تمتلىء بمزيج من الانبهار والرعب والرثاء والدعاء لشهداء النصرانيه الأولى.

ولننتقل الآن إلى قصة أخرى من هذه القصص ألا وهي قصة الشهيد أباكلوج القس.

وقد ولد هذا القديس من أبوين مسيحيين، الأب يدعى ديسقورس والأم أوفمية وكان كلاهما بار أمام الله وقد عاشا فى تقوى ووقار، غير أنهما لم يرزقا بأبناء فلجأ كل منهما إلى الله بالصلاة والتضرع حتى رزقا بولد أسمياه كلوج ومعناه «الخاشع» ففرحا به وعملا الولائم ووزعا الصدقات والنذور

حيث كان والده من أغنياء الفنت ولهم مزروعات وبساتين وأبقار وخيول وجمال وغنم كثيرة. وعندما شعر والداه أنهما قد تقدما فى السن وقربت أيامهما على الأرض على الانتهاء أحضراه إليهما وأخبراه بأن أملاكهما الكثيرة من نعم الله عليهم وأوصياه أن يعمل الخير والإحسان وأن يسلك بأمانة وتقوى كل أيام حياته، وبعد مدة بسيطة إنتقلا إلى الحياة الآخرة فازداد القديس إرتباطا بالرب رغم قسوة التجربة.

وفى أحد الأيام كان عائدا من الحقل ورأى إنسانا فقيرا تظهر عليه علامات المرض ولما قرب من الفتى كلوج سأله صدقة فما كان من هذا القديس إلا أن خلع رداءه وأعطاه لذلك المسكين وقدم له معه دينارا.

وكان الفتى كلوج صورة حية للإنسان المتدين وقد ذاع صيت سيرته الحية فما كان من أهالى بلدته «الفنت» إلا أن عقدوا اجتماعا وأرسلوا وفداً من كبار رجال البلدة يطلبون زيارة الأسقف ورسامته قسا فقام الأسقف برسامته أسقفا بتولا (لأنه لم يكن قد تزوج) إذ كان قد صمم على تكريس حياته للرب.

وعندما أخذت موجة الاضطهاد التي شنها دقلديانوس الكافر تنتشر كل يوم وتزداد قام القديس فى ذلك الوقت ببيع كل ممتلكاته ووزع نصفها على الفقراء والمساكين واحتفظ

بالنصف الثاني لتجديد الكنيسة وظل مواظبا على الصلاة والصوم.

وعندما جاء الوالي أريانوس يطلب القبض على المسيحيين في الفنت تقدم أهل البلدة ليمنعوه من تسليم نفسه للوالي لأنهم كانوا يحبونه، ولكن القديس رفض قائلا لهم : أفرحوا معي وتهللوا لأن نفسي مسرورة أن تتألم من أجل إسم الله وأوصاهم بالمحبة وعمل الخير والرحمة والثبات على الايمان.

ولم يكتف الوالي بالقبض على القديس بل اتجه بنظره إلى أهل الفنت وطلب منهم أن يسجدوا للأوثان فرفضوا جميعا وعلى رأسهم القديس. ولكن الوالي فعل كما يفعل دائما فحاول أن يغري القديس بالمناصب العالية الدنيوية فرفضها القديس بكل شجاعة فلجأ الوالي إلى التهديد والوعيد بأشد العذابات.

وكان مع القديس في ذلك الوقت إنسان يدعى سمعان لما رأى آلات التعذيب خاف وأسرع إلى بيته ليختبيء به خوفا من الموت، ولكن زوجته حينما رأته على تلك الحال حزنت جدا وقالت إن الناس سوف يعيرونني بأنني زوجة رجل جبان ترك القديس أباكلوج وهرب خوفا.

ولما سمع سمعان ذلك قفز مسرعا وعاد وسلم نفسه للوالي فشجعه القديس وقواه، وبعد ذلك أعد الوالي أتونا من النار وأمر بإلقاء القديس أباكلوج فيه فصارت نيران الأتون وأنقذه

الرب فظنه الوالى ساحرا، وبعد أن خمد الأتون أخرجوه وأرقدوه على ظهره ودحرجوا عليه حجرا كبيرا جدا، وبينما كان القديس يتألم كان الوالى يتهكم عليه ويتوعده بأن ما تراه الآن مني عذاب لايضاهي ما سوف تلاقيه إذا لم تنثنى عن عزمك وعنادك فرد عليه القديس قائلا: أما جسدى فلك عليه سلطان وأما نفسى فليس لك عليها أى سلطان.

وعندما رأى الوالى إصراره وعناده ورفضه السجود لآلهة المملكة أمر بضربه بالمطارق والشوك وأعصاب البقر حتى سال دمه وإمتلأ جسده بالجروح ولما رفض الذين مع القديس السجود للأوثان أمر الوالى بقطع رؤوسهم بحد السيف فنالوا إكليل الشهادة.

والمثير فى الأمر أن الوالى أريانوس الذى كان يحكم صعيد مصر والذى كان يتفنن فى أساليب تعذيب المسيحيين هو نفسه قد آمن بالمسيحية، ليس ذلك فحسب بل أ تنازل أضا عن كرسى الحكم وذاق من نفس العذابات.

ووصل الأمر به فى النهاية إلى أن يصبح واحدا من الشهداء الذين إستشهد وافى عصر ديوكلتيانوس (دقلديانوس).

وهذا ما سوف نراه فى الصفحات القادمة من هذا الكتاب ونعود إلى قصة القديس أباكلوج حيث إنه فى اليوم التالى جلس أريانوس فى المحكمة ولما أحضروا له القديس ورأي أنه لا

يوجد أثر فى جسده للتعذيب إغتاظ جدا وسأل مشيريه قائلا: ماذا نعمل فى هذا النصرانى لأننا لو تركناه فإن أهل البلد وأهل المدينة سيؤمنون بتعليمه.

فأشار عليه مشيروه أن يجروه فى المدينة ويطوفوا به فى كل شوارعها ويهينوه فوافق على مشورتهم الشيطانية ونفذها، ولمارأى الجندى يوحنا القديس على هذا الحال بكى وعرض عليه أن يخلصه فرفض القديس وقال: إن الكتاب المقدس يقول كثيرة هى بلايا الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب والسيد المسيح علمنا قائلا لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.

وبينما كان الجنود يجرونه فى شوارع المدينة كانت جموع كثيرة تتبعه وتعلن إيمانها فأمر الوالى بحفر حفرة كبيرة وأن تملأ بالوقود وتشعل فيها نار قوية شديدة اللهب وأمر بإلقاء كل هذه الجموع فى الحفرة فنالوا إكليل الشهادة.

وأخيرا اضطر الوالى عندما أعيته الحيلة مع القديس أباكلوج لأن يأمر بأن تقطع رأسه فى بلدته الفنت ووسط أهله وبعد أن عاد القديس إلى الفنت رفع وجهه ناحية المشرق وصلى صلاة حارة إلى الله من أجل أهل الفنت ليكرمهم الرب ويدبر أمورهم ويثبت إيمانهم وما إن إنتهى من صلاته حتى تقدم أحد الجنود واستل سيفه وقطع به رأس القديس فأسلم روحه الطاهرة ونال إكليل الشهادة.

وهكذا يسدل الستار عن واحد من فصول مسرحية دماء الأقباط لنعود بعد قليل لنفتح فصلا آخر من فصول تلك المسرحية ولكن قبل أن تأخذنا الأحداث دعنا أولا نتابع قصة ريمان الوالي أريانوس والي أنصنا.

قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه في كل الإمبراطورية الرومانية لم يوجد حاكم أو والي عذب المسيحيين بوحشية وبشاعة وباختراع وسائل وآلالات تعذيب مبتكرة، وبكثرة عدد من استشهدوا على يديه مثل أريانوس، هذا الرجل الذي لفرط عداوته وقسوته وجبروته، كان الحاكم إلى آخرين ليس من أنحاء القطر المصري فحسب بل من أقاليم الدولة الرومانية الأخرى، يرسلون إليه المعترفين المسيحيين ممن فشلوا في إخضاعهم وردهم عن إيمانهم المسيحي، حتى ولو أذاقوهم من الألم كؤوسا وألوانا.. لكن ويا للعجب تحول الذئب المتعطش لسفك الدماء إلى حمل وديع يساق إلى الذبح راضي النفس!

ولإيمان أريانوس قصة طريفة وهي أن أريانوس أمر بناء على أوامر الإمبراطورية الصادرة بالقبض على جميع المسيحيين في مدينة أنصنا وكثيرين هربوا، لكن رجال الدين المسيحي استمروا ليشجعوا المخلصين، وقبض على سبعة وثلاثين مسيحيا وقدموا للمحاكمة وكان يوجد في أنصنا في ذلك الوقت عازف مزمار بارع يدعى فليمون وفي نفس الوقت

كان هذا الشاب طيبا قد حاز إعجاب الجميع.

وكان هناك شماس يدعى أبولونيوس ، وإذ كان لايريد أن ينكر إيمانه فقد هداه تفكيرة إلى طريقة يتخلص بها من محاكمة أريانوس، فذهب إلي فليمون وقدم له أربعة دنانير من الذهب، وسأله أن يذهب إلى معبد الأوثان ليضحي للآلهة نيابة عنه، وذهب فليمون بعد أن ترك مزماره لأبولونيوس ولم يتعرف عليه أحد.

وعندما مثل فليمون أمام أريانوس بكته ضميره على أنه سوف ينكر إيمانه فما كان منه إلا أن رفض أن يقرب الذبائح للآلهة وأعلن إيمانه جهرا وبينما الوالى متحير فى أمر المسيحيين خطر له أن يستدعى فليمون ليعزف على مزماره ظنا منه أن أنغامه قد ترد المهووسين (يقصد المسيحيين) إلى صوابهم ، فبحث عنه الجند فى كل مكان فلم يجدوه، وأخيرا إستدعى أريانوس شقيقه ثاؤنا ، وسأله عنه ، فأرشد عنه واشار إليه حيث أن أريانوس لم يعرف سبب تنكره.

وحينئذ اكتشف الوالى خطة الشماس أبولونيوس وأحضره أمامه واعترف هو الآخر بإيمانه لتبدأ معهما رحلة طويلة من العذابات.

وأخيرا أمر أريانوس ، أن يعلق فليمون من قدميه ورأسه لأسفل وأن يضرب بالنشاب، لكنها كانت لاتؤثر فيه وترتد عن

جسده، الأمر الذى جعل أريانوس يتقدم بنفسه ليرى هذا الشئ العجيب فأصابته نشابة قلعت إحدى عينيه، فطلب من فليمون أن يشفيها له، لكن فليمون قال له لو فعلت ذلك، لنسبت أنت هذا للسحر.

لكنه أوصاه أن يتوجه بعد موته إلى قبره ويأخذ من التراب، ويدعك بها عينيه، وسيشفى، فأمر بقطع رأس فليمون وأبولونيوس ودفنهما.

وفى اليوم التالى باكرا جدا، ذهب أريانوس سرا إلى حيث دفن الشهيدان بعد أن أمضى ليلة يصرخ من الألم، وفعل ما أوصاه به فليمون وأقر فى نفسه أنه سوف يؤمن بإله فليمون وأبولونيوس إذا شفى وأنه لا إله غيره، وفى الحال أبصر أريانوس، ومن شدة فرحه بدأ يجول فى المدينة ماشيا على قدميه وهو يصيح إنى أبصر.. إنى أبصر !! وأنا أيضا مسيحى.. ثم أخذ أطيابا، وطيب جسدى الشهيدين فليمون وأبولونيوس وأفرج عن جميع المعترفين المسجونين.

وفى ذلك الوقت كان ديوكلتيانوس موجودا فى الإسكندرية، وسمع بقصة أريانوس فأرسل إلى أنصنا أربعة مندوبين للقبض عليه وإحضاره إليه، وأمام ديوكلتيانوس اعترف أريانوس بإيمانه الجديد ورفض التقريب لآلهة الدولة، على الرغم من اللين الذى أظهره نحوه ديوكلتيانوس، فأمر

ديوكلتيانوس بدفنه حيا .

وآخر قصة فى الولاة الذين آمنوا هى قصة أركانيوس والى سمنود وسوكيانوس والى أتريب، وكان ايمان هذين الواليين بسبب إستشهاد القديس يوليوس الأقفهصى ، كاتب سير الشهداء والذى كان مسيحيا ويشغل وظيفة كبيرة فى الإسكندرة، كما كان ثريا من أثريائها الكبار ، وكان موضع ثقة حاكمها ، وكان محبا لخدمة المعترفين والشهداء ، وعاصر الإضطهادات التى أثارها ديوكلتيانوس وجالريوس ومكسيمينيوس.

كان يزور المعترفين فى سجونهم ويخفف من آلامهم ويداوى جراحاتهم ويقضى كل إحتياجاتهم، ويدفن أجسادهم يعاونه فى ذلك ثلاثمائة غلام من الكتبة المساعدين ، إستخدمهم أيضا فى تسجيل سير الشهداء كتابة ، ويبدو أنه خلال الإضطهادات المذكورة لم يستشهد إلا أنه فى أوائل عهد قسطنطين وقبل أن تستتب الأوضاع السياسية نهائيا ذهب إلى أركانيوس والى سمنود وإعترف بإيمانه وعذب عذابا شديدا ثم إقتادوه إلى بربار (معبد وثنى) لكى يضحى للآلهة وكان عدد أصنامها سبعين فبسط يديه وصلى فإنفتحت الأرض وابتلعت الأوثان جميعها مع أربعين كاهنا كانوا يخدمونها، فلما رأى الوالى هذه الأعجوبة آمن وبعض أفراد حاشيته.

ومضى والى سمنود فى صحبة القديس إلى سوكيانوس والى أتريب وهناك عذبهما الوالى وظل على هذا الحال إلى أن كان يوم إحتفال فى هيكل أوثان بأتريب، وكانوا قد زينوا الهيكل بالمصابيح وسعف النخل، وفى ليلة هذا الاحتفال، أوثقوا والى أتريب، ولما أجتمع الناس في اليوم التالى رأوا رؤوس الأصنام منزوعة ومسودة بالرماد وزينتها ضائعة فأسرعوا وأخبروا الوالى فأمن هو الآخر، ورحل ثلاثتهم من أتريب الى طو، وهناك أجتمعوا بواليها الكسندروس، وحاولوا إقناعه بالمسيحية، فاعتذر ولم يرد أن يعذبهم بل أراد أن يرسلهم إلى والى الإسكندرة فألحوا عليه أن يقوم هو بالمهمة ويعذبهم أويقتلهم، فكتب الوالى قضيتهم، وقطعت رؤوسهم بالسيف.

دور المرة النصرانية: والآن دعنا نزح الستار عن الفصل الأخير من مسرحية كفاح الأقباط ضد روما الإمبراطورية الوثنية، وهذا الفصل يتناول دور المرأة فى هذا الكفاح فقد شاركت الرجل فيه ولم تكن بمنأى عن تعرضها للاضطهاد فالاضطهاد لم يقف عند حد، وسوف نجد أنها ذات دور مشرف يدعو للفخر والإعجاب معا فتعال معنا لنتعرف على واحدة من هؤلاء النسوة الشهيدات ألا وهى القديسة العذراء المصرية بوتامينا .ففى الاضطهاد الذى أثاره سبتيموس ساويرس إحتملت أشد أنواع العذاب، ويقول يوسابيوس المؤرخ عنها

إنها لا تزال مشهورة بين شعب البلاد لسبب الآلام العديدة التى تحملتها في سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها، لأنها كانت فى دور النضوج العقلى والجسمى وإذ تحملت كثيرا من أجل الإيمان المسيحى، وعانت صنوفا مختلفة من التعذيب الذى لا يوصف، وأخيرا احترقت بالنار مع أمها مارسيلا ويقال أن الوالى المسمى أكيلا بعد أن عذب كل جسمها تعذيبا قاسيا هددها أخير بتسليمها إلى المصارعين للإساءة إلى جسدها، وإذ سئلت عما استقر عليه رأيها فكرت قليلا وقدمت إجابة اعتبرت خارجة عن حدود اللياقة، وللحال صدر عليها الحكم وساقها إلى الموت باسيليدس أحد ضباط الجيش، ولما حاول الشعب الإساءه اليها وإهانتها بألفاظ بذيئة أبعد (با سيليدس) أولئك المسيئين، وأظهر نحوها كثيرا من الرقة والعطف كانت الطريقة التى تقرر إعدامها بها أن يصب الماء المغلى على أعضائها، ولكنها صاحت قائلة للوالى أستحلفك برأس الامبراطور الذى تخشاه ألا تجعلهم يجردوننى من ثيابى بل يدعوننى أنزل إلى القار قليلا حتى ترى أية قوة إحتمال أعطانيها الله الذى لست تعرفه.

إلى هذه الدرجة من التحفظ والحياء ومحبة الطهارة كانت هذه العذراء التى أبت أن تخلع ملابسها وينكشف جسدها أما الجندى باسيليدس الذى حامى عنها فكانت مكافأته أنها وعدته بأن تصلى من أجله وبعد أيام من استشهاد بوتامينا

إعترف باسيليدس بإيمانه وقطعت رأسه بالسيف.

والقصة التالية لعذراء أخرى هي العذراء العفيفة ثيؤدورة والتى إستشهدت بالإسكندرية فى زمان ديوكلتيانوس وهى فى السابعة عشرة، لأنها اثرت حياة العفة والتبتل... كانت ثيؤدورة سليلة أسرة نبيلة وعلى جانب كبير من الجمال الجسدي فأمرها الوالى أن تبخر للأوثان ، وإلا فإن عقوبتها ستكون إيداعها أحد بيوت الدعارة وفي تمسكها بعفتها رفضت كلامه وقالت له إنها واثقة من أن الله سيخلصها.

وقد أتاها الخلاص من هذه التجربة على يد الشاب المسيحى ديديموس الذى تنكر فى زى جندى وكان أول من دخل عليها وكانت لا تعرفه أما الخطة فكانت هى استبدال ملابسها، وخرجت ثيؤدورة متخفية فى زى جندى دون أن يفطن إليها أحد ويقى ديديموس فى الحجرة حتى أكتشف أمره، وسيق إلى الوالى وحكم عليه بالموت بسبب المؤامرة التى إرتكبها وحدث وهو فى طريقة إلى مكان الإعدام إن رأته ثيؤدورة وعرفت قصته ، فشقت الجموع وأمسكت به وقالت له إنى لا أقبل أن تأخذ مكانى فى الإستشهاد ، لقد وافقت فقط أن تحفظ عفتى . وعرف الأمر ونال كلاهما إكليل الشهادة معا.

ومن أشهر القديسات اللاتى نلن إكليل الشهادة هى القديسة كاترين الشهيرة بسانت كاترين، كانت من أسرة شهيرة

بالإسكندرية ، علمتها والدتها منذ الطفولة حب الله وقصت عليها قصص القديسات والشهيدات، وتثقفت بأهم علوم الفلسفة واللاهوت (الشرع النصرانية) ، وكانت تقوم بإفتقاد المسيحيين لحضور الإجتماعات فى بيوت المؤمنين وتثبيتهم على الايمان، لذلك تقووا فى الايمان ورفضوا التبخير للأوثان حسب منشور الإمبراطور مكسيميانوس والذى زار الإسكندرية وتحدثت معه القديسة بما أعطاها الله من معرفة فلسفية ووعدها الامبراطور باحضار أقدر علمائه لإظهار كفر عقيدتها، ولكنها صلت وصامت وتذللت أمام الله ليساعدها، وأقيمت ندوة إجتمع فيها عظماء الاسكندرية ومن العلماء الوثنيين فى قاعة القصر الكبير، وإستطاعت الفتاة أن تثير نفوس وإعجاب الحاضرين ، وإعترف كبار الفلاسفة الوثنيين بعجزهم أمام قوة منطقها وسلامة رأيها وأعلنوا إقتناعهم وغضب الإمبراطور وأحرق العلماء ، وقام الإمبراطور قلقا وأمر كاترين بتقديم الذبيحة فرفضت، وأمر بعدها بجلدها لمدة ساعتين حتى تمزق جلدها، وذهبت زوجة الإمبراطور سرا ومعها قائد السجن بعدما رأت رؤية جميلة فتعزوا بكلامها وآمنوا، وطلب الإمبراطور كاترين من السجن ورآها فى صحة جيدة وعرض عليها الزواج، فوبخته فوضعوها علي إحدى آلات التعذيب الرومانية الرهيبة وقيدوها بحبال متينة لتمزق

جسدها أسنان الآلة ولكن الله أرسل من قطع الحبال وتدحرجت القديسة ونجت ، فقام الوالى بتعذيبها من خلال رحلة طويلة قاست فيها مر الألم وأخيرا قطعوا رأسها لتنال إكليل الشهادة.

أما القديسة إيلارية، فقد ولدت بدمليانا بالقرب من دميرة (المنوفية) من أبوين مسيحيين تقيين، ونشأت على الطهارة وكانت مواظبة على الصوم والصلاة، وعندما بلغت من العمر ١٢ سنة وزعت كل ما تملك وأتت إلى طوه ومنها إلى سرسنا (مركز الشهداء بالمنوفية) وحدثت الوالى وإعترفت بإيمانها فعذبها الوالى أشد العذاب ومشط لحمها ووضع في جسدها مسامير ساخنة، وأخيرا قطعوا رأسها.

ومن العجيب فى قصص كفاح المرأة أنها قدمت حياتها دفاعا عن الإيمان بل الأكثر من ذلك وبالغرابة أن نجد أمهات قدمن أولادهن للإستشهاد وزوجات قدمن أرواجهن للإستشهاد ومضحيات بكل غال ونفيس فى سبيل الكفاح.

ومن أولئك النسوة الام دولاجى التى عاشت فى مدة الاضطهاد الذى أثاره الطاغية ديوكلتيانوس ، كانت منطقة إسنا غنية بقديسيها من جميع الفئات، وقام أريانوس والى أنصنا برحلة تجول خلالها فى بلاد الصعيد ليرى مدى تنفيذ مراسيم سيده الإمبرطور وحالما دخل مدينة إسنا قابله أربعة

صبية أشقاء وهم سورس وهرمان وأنانوفا وشطناس، وكانوا يسوقون دابة محملة بالبطيخ فأوقفهم وأمرهم أن يسيروا معه للسجود للأوثان، لكن الصبية الشجعان أبوا وأعلنوا مسيحيتهم، وحاول معهم بالإغراء فلم يفلح فأخذ يهددهم.

وطار الخبر إلى أمهم دولاجى، فخرجت مسرعة إلى مكانهم، وأمام الوالى كانت تشجعهم وتقويهم، فامتلأ أريانوس غيظا وأمر بحبسهم جميعا.

وفى الصباح إستدعاهم الوالى، وحاول معهم مرة أخرى أن يبخروا للآلهة، فإذا بالأم دولاجى تصرخ معلنة إيمانها المسيحى هى وأولادها ويهتفون نحن مسيحيون وإنهم يرفضون عبادة الألهة الكاذبة.

فإمتلأ أريانوس غضبا وأمر بقطع رؤوسهم.. على أن يذبح أولادها باكورة شهداء بإسنا فى عهد ديوكلتيانوس.

أما الشهيدة رفقة فقد كانت أما لخمسة أبناء (أثناثوس وبطرس ويوحنا وآمون وآمونا).. وكان موطنهم الأصلى إحدى بلاد مركز قوص بجوار الأقصر.. وكعادة الشهداء فى ذلك الزمان وزعت مالها على المحتاجين ثم توجهت هى وأبناؤها إلى بلدة قوص، وهناك إعترفوا بإيمانهم بثبات أمام ديونيسيوس القائد الذى عذبهم عذابا شديدا مبتدئا بالأم التى أثبتت صبرا واحتمالا وكانت تشجع أولادها، وهكذا عذب الأبناء الخمسة كلهم وبسبب ثباتهم وما احتملوه من عذاب أمن

كثيرون وأعلنوا إيمانهم واستشهدوا، ولما كان الابن الأكبر أغاثون هو مقدم بلدته ومحبوبا من مواطنيه، فقد أشار البعض على القائد بأن يرسلهم إلي أرمانيوس والي الاسكندرية حيث لا يعرفهم أحد هناك.

ولما كان الوالي غائبا في بلده شبرا، فقد أرسلوا إليه هناك.

وبعد أن عذبهم عذابا مؤلما بالهبازين، وبإلقائهم في خلقين زيت مغل أمر بقطع رؤوسهم وطرح أجسادهم في البحر استشهاد الاطفال الأطفال؛ ومادمنا نرى أمهات يشجعن أولادهن على الاستشهاد، فليس مستغربا أن نجد أطفالا يقبلون على الاستشهاد، ، وقد ربتهم أمهاتهم على ذلك.

ومن هؤلاء الأطفال الفتى شنوسي والذى كان عمره ١٢ عاما وكان طاهرا نقيا من بلدة بلكيم من أعمال أبو صير، وبينما كان في الحقل يرعى الغنم رأى رؤيا أنه يمضي إلى الاستشهاد ، فودع أمه دون أن يخبرها ومضى في طريقه إلى طوه، فوجد الوالي قد غادرها إلى سرستا، ومنها إلى داكن.

وعندما أمسى عليه الليل طلب مكانا يبيت فيه ، فأرشدوه إلى امرأة مسيحية اسمها مريم، كانت مقيدة بالحديد ، فسألها أن تفتح له فقالت له ادخل يابني لتنتزع الحديد من يدي... وحضر الضابط في اليوم التالي، وبعد مناقشة ساقه للقائد واعترف أمامه فسلمه للجند ليمضوا به إلى سرسنا إلى مجلس الولاية.

فأمر الوالي أن يعلقوه علي العصار ويعصروه ، وعندما علق شنوسى على المعصار انكسر المعصار إلى اثنين فقال له الوالى علمت أنك ساحر وأمر أن يعذب بوضعه على سرير حديد ويوقد تحته ، كل هذا والصبى شنوسى يتحمل عذابا يفوق سنه. وتعددت ألوان التعذيب كان منها أنه يعصر بالمعصار ، وسلطوا مشاعل على جنبيه وبطنه لمدة ثلاث ساعات.

ثم قيدوه بسلاسل وألقوه فى مركب ووضعوا حجرا فى عنقه وأرسلوه إلى أنصنا وهناك طرح فى السجن ثم مثل أمام أريانوس حيث أعترف بإيمانه بثبات ورفض أن يبخر للآلهة فأمر أريانوس أن يثقب كعباه ويربط بهما حبال يسحل (يجر) فى الشوارع وأخيرا و بعد عذابات طويلة تفوق إحتماله إلا أنه تحملها بصبر وجلد أمر الوالى بقطع رأسه بالسيف.

وبإنتهاء قصة الصبى شنوسى يسدل الستار على آخر فصل من فصول مسرحية الكفاح ضد الرومان.

إنه تاريخ حافل مكتوب بالدمـــاء

دماء الشـــهداء

دماء الأقبـــاط

من أهل مصـر.



أمجد شهدى سدراك

قصة حقيقية
وأسرار مثيرة جداً

لاشك أنك ستقرأ هذا الكتاب
أكثر من مرة وانت تحبس أنفاسك
من فرط الإثارة ولكن مانؤكده لك
أن كل أحداث هذا الكتاب هى
حقيقية رغم أنها أغرب من الخيال

دار ابن لقمان

اقتنِ سلسلة بطولات مصرية حقيقية

- مقاتل يغازل الموت — لواء. أ.ح.م. أورهان حماده
- أبطال المهام الخطرة — لواء. أ.ح.م. أورهان حماده
- أبطال الموت — عميد. م. نبيل خالد
- أبطال معركة المنصورة — فتحى فوزى

تصميم م/ علاء عجوة

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

مركز ابن لقمان
للدراسات والأبحاث
مصر - المنصورة ٣٥٥١١ ص.ب ٩٥ ت: ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧

يطلب من الأهرام
مكاتب ومكتبات جريدة الأهرام
ت: ٠٢/٧٧٠٤١٩٤